تأمّـلات

في

سورة الواقعة

تأليف

الأستاذ الدكتور/ عماد زهير حافظ

كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

رجب ١٤٢١ هـ

ⓒ عماد بن زهير حافظ ، ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

حافظ، عماد بن زهير

تأملات في سورة الواقعة./ عماد بن زهير حافظ.- المدينة المنورة، ١٤٢٨هـ

١٣٦ ص؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٦ - ٣١٣ - ٥٨ - ٩٩٦٠-٩٧٨

١- القرآن- سورة الواقعة- تفسير أ- العنوان

ديوي ٦, ٢٢٧ ١٤٢٨/٢٥٤٥

رقم الإيداع: ١٤٢٨/٥٢٤٥

ردمك: ٦ - ٣١٣ - ٥٨ - ٩٩٦٠-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ

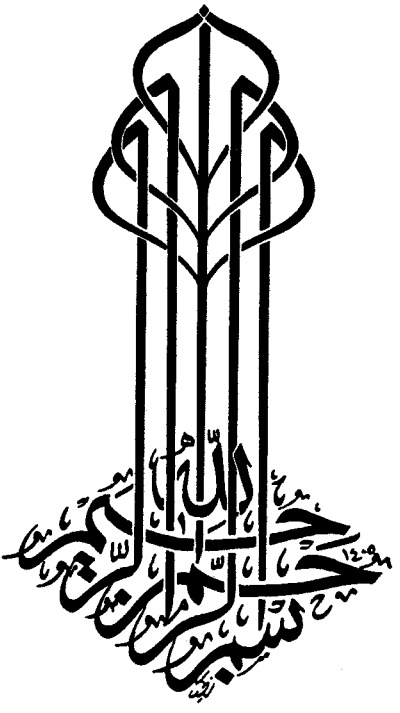
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى الـــذين خـــشعت قلـــوبهم لـــذكر الله
ومـا نـزل مـن الحـقّ حتـى زكـت أنفـسهم
وسمـــت أرواحهـــم وفاضـــت عيـــونهم
وانطلقـــت جـــوارحهم ملبيّـــة نـــداء ربّهـــا
وملتزمة بهدي نبيّها صلى الله عليـه وسـلم

أهدي هذا البحث

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

المقدّمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى ورحمة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، دعا عباده إلى التدبّر والتأمّل في هذا القرآن بكل بصيرة وفكرة، وأشهد أن نبيّنا وسيّدنا محمداً عبد الله ورسوله، بيّن لأمّته ما أنزل إليه بوافر العلم والحكمة، صلى الله وسلّم عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره.

وبعد:

سورة أحببت قراءتها والوقوف عند آياتها تدبّراً وتأمّلاً؛ لِما أجد فيها من عظيم وَقْعها وجَرْسها، ودقّة وصفها ونعتها، وسرعة آياتها وتدفّق معانيها؛ وغزارة ألفاظها وكلماتها، وكأنها تقع على القلب آية آية.. إنها سورة الواقعة التي اخترت أن أكتب في تأمّلاتها عسى أن أضع لبنة في بناء النفس المؤمنة الخاشعة المتدبّرة لآيات كتاب ربّها، والسائرة على هديه وشريعته ترجو رحمته وتخشى عذابه وتحثّ سيرها إلى رضوانه وجنّته، بل وتضمّ في طريقها إليه كلّ مشتاق ومحبّ للقاء ربّها ورؤيته.

- هذا وقد استعنت بالله تعالى على المضيّ في دراسة هذه السورة الكريمة وإبداء بعض التأمّلات حول آياتها وأجزائها المترابطة المتلازمة، فوجدت نفسي ـ مع عجزها وقصورها ـ أمام باب عظيم من أبواب العلم والفكر والتدبر حوته كتب المفسرين من السلف والخلف في بيان هذه السورة، فشرعت في الكتابة والتأمّل طالباً من الله التوفيق

والسداد.

ـ ولقد انتهيت إلى تقسيم هذه الدراسة إلى تمهيد وستة فصول وخاتمة. أما التمهيد فهو في الكلام عن السورة وفضلها وموضوعاتها ومقاصدها. وأمّا الفصول فعلى ما يلي:

الفصل الأول: تأمّلات في مطلع السورة وضمّنته أربعة مباحث:

المبحث الأول: في الافتتاح بـــ (إذا). والمبحث الثاني: في وجه تسمية يـــوم القيامة بالواقعة والمبحث الثالث: في وصفه تعالى للواقعة بـــ ﴿ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾. والمبحث الرابع: في اختلال نظام الكون يوم القيامة.

الفصل الثاني: تـأمّلات في وصـف الـسابقين ونعـيمهم. وضـمّنته مبحثين:

المبحث الأول: في حقيقة الـسابقين ووصـفهم والمبحـث الثـاني: في وصف نعيم السابقين.

الفصل الثالث: تأمّلات في ذكر نعيم أصحاب اليمين ووصفهم.

وضمّنته مبحثين: المبحث الأول: في ذكر أصناف النعيم لأصحاب اليمين والمبحث الثاني: في وصف أصحاب اليمين.

الفصل الرابع: تأمّلات في ذكر جزاء أصحاب الشمال وسببه.

وضمّنته مبحثين أيضاً. المبحث الأول: في ذكر جزاء أصحاب الشمال والمبحث الثاني: في ذكر أسباب استحقاق هذا الجزاء.

الفصل الخامس: تأمّلات في دلائل إثبات البعث. وضمّنته أربعة

مباحث. المبحث الأول: في خلق الإنسان والمبحث الثاني: في إنبات الزرع. والمبحث الثالث: في إنزال الماء وتكوينه. والمبحث الرابع: في خلق النار وإيجادها.

الفصل السادس: تأمّلات في المقطع الأخير من السورة. وضمّنته ثلاثة مباحث: المبحث الأول: في التنويه بالقرآن الكريم. والمبحث الثاني: في بيان حالة نزع الروح والتحدّي بها. والمبحث الثالث: في بيان حال الأزواج الثلاثة بعد قبض أرواحهم.

ـ وأما الخاتمة فجعلتها محتوية على أهمّ النتائج والمقترحات.

❑ هذا ولقد كان منهجي في هذه الدراسة البحثية التأمّلية على ما يلي:

ـ الاقتصار ـ في الغالب ـ على ذكر الأقوال الراجحة من أقوال المفسرين، وقد أتعرّض على ذكر غيرها للفائدة أو الاستيعاب أو التوجيه.

ـ بيان أكثر ما يواجهني من الغريب في الهامش دون المتن، لأنه ليس من منهج البحث التفسير التحليلي بكلّ عناصره، بل يقتصر على ما يؤدّي الغرض من الكلام عن آيات السورة والتأملات فيها.

ـ العناية بذكر القراءات المتواترة وتوجيهها.

ـ العناية بذكر اللطائف اللغوية والبلاغية وما أراه من الفوائد اللطيفة المناسبة والاستنباطات الجميلة وبعض الدلالات الهادفة من الآيات.

ـ العناية بالمناسبة بين الآيات في السورة، والربط بين أجزائها ومقاطعها.

ـ العناية بترجمة الأعلام الوارد ذكرهم في متن البحث دون الهامش.

وأخيراً أسأل الله عزّو جلّ أن يفيد من هذه الدراسة الفائدة المرجوّة

وأن يتقبلها مني ويجعلها في ميزان حسناتي يوم ألقاه. آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

****

التمهيد

ـ في الكلام عن السورة وفضلها وموضوعاتها ومقاصدها ـ

يحسن بي قبل أبدي بعض التأمّلات في آيات هذه السورة الكريمة أن أمهّد لها بذكر أهمّ الحقائق عنها التي أرى أنّه لابدّ من معرفتها والإحاطة بها وهي على النحو التالي:

• اسمها:

ـ إن سورة الواقعة سميت بهذا الاسم بتسمية النبـي ﷺ لها، فقد روى الترمذي[1] عن ابن عباس[2] ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال أبو بكر الصديق[3] رضي الله عنه: يا رسول الله قد شبت! فقال ﷺ: " شيبتني هود والواقعة

---

(١) هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي البوغي الترمذي، أبو عيسى (٢٠٩ - ٢٧٩هـ): من أئمة علماء الحديث وحفاظه، من أهل ترمذ (على نهر جيحون)، تتلمذ للبخاري وشاركه في بعض شيوخه، وقام برحلة إلى خراسان والعراق والحجاز، وعمي في آخر حياته، ومات بترمذ. من أهم مصنفاته: الجامع الصحيح ـ الشمائل النبوية ـ العلل " في الحديث " (انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ج٩ص٣٤٤-٣٤٥؛ تذكرة الحفاظ للذهبي ج٢ص١٨٧؛ وفيات الأعيان لابن خلكان ج١ص٤٨٤؛ ترجمة أحمد محمد شاكر له في مقدمة تحقيقه لجامعه ج١ص٧٧ ـ ٩١؛ الأعلام للزركلي ج٦ص٣٢٢).

(٢) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس (٣ق.هـ-٦٨هـ): حبر الأمة، ولد بمكة ونشأ في عصر النبوة فلازم النبي ﷺ وروى عنه الأحاديث، شهد مع علي الجمل وصفين، سكن الطائف ومات بها. (انظر: أسد الغابة ج٣ص١٨٦ـ١٩٠؛ الإصابة لابن حجر ج٢ص٣٢٢-٣٢٦؛ الأعلام للزركلي ج٤ص٩٥).

(٣) هو عبدالله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي، أبو بكر (٥١ق.هـ-١٣هـ): أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن بالرسول ﷺ من الرجال، ولد بمكة، وكان سيدا من سادات قريش وغنيا من أغنيائهم، عالما بالأنساب، وكان يلقب بعالم قريش، وهو=

والمرسلات وعمّ يتساءلون وإذا الشمس كورت[١] ". وكذلك سميت في عهد الصحابة رضي الله عنهم فقد روى الإمام أحمد[٢] عن جابر بن سمرة[٣] رضي الله عنه أنّه قال: وكان النبي ﷺ يقرأ في الفجر الواقعة ونحوها من السور[٤].

ـ ووجه التسمية بهذا الاسم ظاهر، وهو لورود لفظ الواقعة في أولها دون غيرها من السور.

● **فضلها:** حازت هذه السورة الكريمة قدراً عظيماً من الفضل والشرف

= ممن حرم على نفسه الخمر في الجاهلية، مواقفه وفضائله معروفة ومشهورة، توفي بالمدينة بعد خلافته لرسول الله ﷺ مدة سنتين وثلاثة أشهر ونصف شهر. (انظر: أسد الغابة ج٣ص٢٠٥ـ٢٣٠؛ الإصابة ج٢ص٣٣٣ـ٣٣٦؛ الأعلام للزركلي ج٤ص١٠٢).

(١) رواه الترمذي في جامعه: كتاب التفسير، باب " ومن سورة الواقعة " ، حديث (٣٢٩٧) ج٥ص٤٠٢، وقال عنه حسن غريب؛ ورواه الحاكم في مستدركه بكتاب التفسير ج٢ص٣٤٣ـ٤٧٦ وقال صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقد ذكره الألباني في سلسلة الأحديث الصحيحة ج٢ ص٦٧٦ حديث (٩٥٥)، وله طرق وشواهد متعددة.

(٢) هو أحمد بن محمد، أبو عبد الله الشيباني الوائلي (١٦٤ـ٢٤١هـ): إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة، أصله من مرو، وكان أبوه والي سرخس، ولد ببغداد، من أشهر مصنفاته المسند. (انظر: صفة الصفوة لابن الجوزي ج٢ص٣٣٦ـ٣٥٩، البداية والنهاية لابن كثير ج١٠ص٣٤٠ـ٣٥٨؛ الإعلام للزر كلي ج١ص٢٠٣).

(٣) هو جابر بن سمرة بن جنادة السوائي: صحابي، كان حليف بني زهرة، له ولأبيه صحبه، نزل الكوفة وتوفي في ولاية بشر على العراق عام ٧٤هـ، روى له البخاري ومسلم وغيرهما ١٤٦ حديثا. (انظر: أسد الغابة ج١ص٣٠٤؛ الإصابة ج١ص٢١٣؛ الأعلام ج٢ص١٠٤).

(٤) مرويات الإمام أحمد بن حنبل في التفسير: تفسير سورة الواقعة، حديث (٣٥٨)، وفي المسند ج٥ص١٠٤، وإسناده حسن.

لما يلي:

أولاً: لكونها من سورة المفصّل[١] الذي فضِّل به النبي ﷺ على سائر الأنبياء، فعن واثلة بن الأسقع[٢] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أعطيت مكان التوراة السبع الطوال[٣]، ومكان الزبور المائين[٤]، ومكان الإنجيل المثاني[٥]؛ وفضِّلت بالمفصّل[٦]".

ثانياً: لكونها من السور ـ التي أخبر الرسول ﷺ في الحديث المذكور آنفاً ـ أنّها أظهرت الشيب في شعره عليه الصلاة والسلام، ولذلك ـ كما

---

(١) سميت بذلك لكثرة الفصول التي بينها ببسم الله الرحمن الرحيم، وقيل: لقلّة المنسوخ فيه. وأصحّ الأقوال في بداية المفصّل أنّه من سورة ق، وآخره سورة النّاس. (انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ج١ص٢٤٥-٢٤٦).

(٢) هو واثلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل، الليثي الكناني (٢٢ق.هـ-٨٣هـ): صحابي من أهل الصُفّة، شهد مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك، وقيل: خدم النبي ﷺ ثلاث سنين، ثم نزل البصرة، وحضر المغازي في البلاد الشامية، وكفّ بصره، وهو آخر الصحابة موتاً في دمشق، له ٧٦ حديثاً، ووفاته بالقدس أو دمشق. (انظر: أسد الغابة ج٤ص٦٥٢-٦٥٣؛ الإصابة ج٣ص٥٨٩-٥٩٠؛ الأعلام للزركلي ج٨ص١٠٧).

(٣) هي سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس (حكي عن سعيد بن جبير)، ومنهم من عدّ الأنفال وبراءة سورة واحدة فجعل سابع الطوال براءة. (انظر: البرهان للزركشي ج١ص٢٤٤).

(٤) المئون: ما ولي السبع الطوال، سميت بذلك لن كلّ سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها. (انظر: البرهان للزركشي ج١ص٢٤٤).

(٥) المثاني: ما ولي المئين. (البرهان: ج١ص٢٤٥).

(٦) أخرجه الطيالسي في مسنده ص١٣٦؛ وأحمد ج٤ص١٠٧؛ والطبري في تفسيره ج١ص٣٤؛ والطحاوي في مشكل الآثارج٢ص١٥٤؛ والطبراني ج٢٢ص ٧٥،٧٦. والحديث حسن لشواهده (انظر: موسوعة فضائل سور وآيات القرآن لمحمد رزق طرهوني ج١ص١٢٨-١٣٠).

ورد في الحديث ـ كان تعجّب أبي بكرالصديق رضي الله عنه من ظهور الشيب وهو من علامات الكبر في السنّ غالباً، وقد يكون بسبب مرض ما، والنبي ﷺ لم يبلغ حدّ الكبر الذي يظهر فيه الشيب فقال له النبي ﷺ: "شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعمّ يتساءلون وإذا الشمس كورت"؛ وذلك لما حوته هذه السورة الكريمة من ذكر أهوال يوم القيامة والمثلاث النوازل بالأمم الماضية. وفي هذا دليل على أن بياض الشعر قد يعتري الإنسان قبل أوان الكبر بسبب ما يخالج نفسه من المشاعر المؤثرة كالهمّ والحزن وغيرهما.

ثالثاً: ولكونها من السور التي كان يقرن بينها ويقرأ بها في صلاته بالليل. فقد ورد في الصحيح قول عبدالله بن مسعود[١] رضي الله عنه: "إني لأعلم النظائر التي رسول ﷺ يقرن بينهن، سورتين في كل ركعة"، وقد سأله عنها علقمة[٢] فأخبر بعد إجابته له فقال: قد أخبرني بها: الرحمن

---

(١) هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن(توفي عام ٣٢هـ): من السابقين إلى الإسلام، وهو أول من جهر بقراءة القرآن بمكة، وكان خادم رسول الله ﷺ في حله وترحاله، ولي بيت مال الكوفة بعده، ثم قدم المدينة في خلافة عثمان فتوفي بها، له٨٤٨ حديثاً. (انظر: أسد الغابة ج٣ص٢٨٠-٢٨٦؛ الإصابة ج٢ص٣٦٠-٣٦٣؛ الأعلام للزركلي ج٤ص١٣٧).

(٢) هو علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي الهمداني، أبوشبل: تابعي، كان فقيه العراق. ولد في حياة النبيﷺ وروى الحديث عن الصحابة، ورواه عنه كثيرون، وشهد صفين، وغزا خراسان، وأقام بخوارزم سنتين؛ وبمرو مدة. وسكن الكوفة وتوفي بها عام ٦٢هـ. (انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ج٧ص٢٤٤-٢٤٦؛ الأعلام للزركلي ج٤ص٢٤٨).

والنجم في ركعة؛ واقتربت والحاقة في ركعة؛ والطور والذاريات في ركعة؛ وإذا وقعت و نˇ في ركعة؛ وسأل سائل والنازعات في ركعة، وهل أتى ولاأقسم بيوم القيامة في ركعة، وعم يتساءلون والمرسلات في ركعة؛ والدخان وإذا الشمس كورت في ركعة[١].

ـ هذا وأما ماورد من الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «**من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا**» وما ورد من الأحاديث أيضاً في معناه فأسانيدها ضعيفة ولا يحتج بها[٢].

ـ والسورة مكية، وتُعدّ السادسة والأربعين في تعداد نزول السور من القرآن الكريم، نزلت بعد سورة طه وقبل سورة الشعراء، وآياتها تسع وتسعون في عدّ الحجاز والشام؛ وسبع وتسعون عند أهل البصرة؛ وست وتسعون عند أهل الكوفة. وكلماتها ثلاثمائة وثمان وسبعون، وحروفها ألف وسبعمائة وثلاث[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في (١٠) كتاب الأذان (١٠٦) باب الجمع بين السورتين في الركعة، حديث (٧٧٥) ج٢ص٢٥٥، وفي (٦٦) كتاب فضائل القرآن(٦) باب تأليف القرآن حديث (٤٩٩٦) ج٩ص٣٩؛ (٢٨) باب الترتيل في القراءة، حديث (٥٠٤٣) ج٩ص٨٨" فتح الباري" وأخرجه مسلم في باب ترتيل القراءة واجتناب الهذ ج٦ص١٠٤-١٠٨ "صحيح مسلم بشرح النووي"، وأخرجه النسائي ج٢ص١٧٥، حديث (١٠٠٥)؛ وأخرجه أبو داود في (٢) كتاب الصلاة (٣٢٦) باب تحزيب القرآن حديث (١٣٩٦) وفيه التفصيل في ذكر السور ج٢ص١١٧.

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٧ص٢٧٩؛ فتح القدير للشوكاني ج٥ص١٤٦، والحديث المذكور أخرجه البيهقي في الشعب رقم (٢٢٦٧-٢٢٦٩).

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي ج١ص٤٥٠؛ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ص٢٥؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٧ص٢٧٩- ٢٨٠.

• **محور آياتها وأهمّ موضوعاتها ومقاصدها:**

يدرك المتأمّل الناظر في آيات هذه السورة الكريمة أنّها تدور حول محور واحد؛ هو أحد محاور السور المكّية من القرآن، ذلك هو إثبات العقيدة باليوم الآخر بكلّ ما فيه من إحياء الخلق ورجوعهم إلى الله تعالى وجزائهم على أعمالهم التي قدّموها في دنياهم.

ومن ثمّ تبدأ السورة الكريمة بوصف القيامة بصفتها التي تقطع الشكّ والريب وتُشْعِر بالحسم والجزم في هذا الأمر الواقع لا محالة؛ فيذكر الحقّ – سبحانه- من أحداث هذا اليوم العصيب الرهيب ما يوحي بعظمته وهوله بما فيه من تبدّل الأرض والسموات واختلال كلّ نظام واختلاف أحوال الناس وأوضاعهم، إذ يقول سبحانه: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾[1].

– ثم يأتي التفصيل في القول بمصير أهل الأرض وعاقبتهم فيخبر الله- عزّوجلّ- عمّا يلقونه من الجزاء حسب فئاتهم؛ إذ بيّن أولاً ما أعدّه من النعيم للسابقين المقرّبين، ثم ثنّى بأهل اليمين، وأعقبه آخراً بذكر سوء عاقبة ومصير أهل الشمال المكذبين الضالين، وكلّ ذلك الوصف التفصيلي ممّا يوقع في النفس أنّ هذا أمر كائن وواقع وكأنّه رأي عين ولا مجال للتكذيب أو الشكّ. وهذا ما جاءت به الآيات من قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ... ﴾الآيات[2].

---

(١) سورة الواقعة: الآيات من (١) إلى (٦).

(٢) انظر: الآيات من رقم (٧) إلى رقم(٥٦).

- وبعد هذه الجولة تأتي جولة أخرى في ذات القضية؛ ولكن يجيء الإثبات والتوكيد لليوم الآخر بأسلوب آخر؛ يتمّ فيه ذكر دلائل وشواهد تُعرض لتدلّ على عظمة قدرة الله تبارك وتعالى التي لا يعجزها إحياء بعد إماتة ولا بعث بعد رقاد ولا نشور بعد قبور ولاجزاء بعد بِعاد. وتجيء كلّ هذه الدلائل والشواهد من مألوفات الحياة الواقعة؛ والمطلوب هو التوقّف والتنبّه وملاحظة قدرته سبحانه وتعالى. وتلكم هي من قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ... ﴾ الآيات[1].

- وتأتي الجولة الأخيرة في هذا الشأن-أيضاً-بأسلوب عجيب غير مباشر، إذ تتناول قضية هذا القرآن العظيم الذي يحدثّهم عن يوم القيامة، فيثبت تعالى أنه حقّ وصدق. وذلك من قوله عزّوجلّ ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾ الآيات[2].

- ثم يأتي الحديث في خاتمة السورة عن مشهد الاحتضار ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ.. ﴾ الآيات[3]؛ وإن الأمر إلا لله سبحانه وتعالى القادر على نزع الأرواح؛ وهو القادر بذلك على إعادتها وإرجاعها.

---

(١) انظر: الآيات بسورة الواقعة من رقم (٥٧) إلى رقم (٧٤).

(٢) انظر: الآيات من رقم (٧٥) إلى رقم(٨٢).

(٣) انظر: الآيات من رقم (٨٣) إلى رقم (٩٤).

- وتختم السورة الكريمة بتوكيد الخبر وتسبيح الله الخالق العظيم ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾[١].

- ولمسروق[٢] كلام حسن عن السورة وموضوعاتها إذ يقول: " من أراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين ونبأ أهل الجنة ونبأ أهل النار ونبأ أهل الدنيا ونبأ أهل الآخرة فليقرأ سورة الواقعة"[٣].

❑ صلة سورة الواقعة بسورة الرحمن قبلها.

آخر ما أذكره من الحقائق حول هذه السورة الكريمة وجه تعلّقها بسورة الرحمن قبلها، وقد اجتهد أهل المناسبات بين السور في بيان ذلك، فذكروا عدّة جوانب لكشف وجه الصلة بين السورتين من أهمّها ما يلي:

أحدها: إنّ سورة الرحمن قد اشتملت على تعديد النعم على الإنسان ومطالبته بالشكر عليها؛ ومنعه من التكذيب والكفر بها. وهذه السورة مشتملة على ذكر الثواب لمن شكر وذكر العقاب لمن كفر.

ثانيها: إنّ سورة الرحمن تتجلّى فيها الرحمة الإلهية، وهذه السورة تتجلّى فيها الهيبة، فيتكوّن من مجموعهما إظهار الرحمة والهيبة لله تعالى؛

---

(١) سورة الواقعة الآيتان: (٩٥-٩٦).

(٢) هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبو عائشة: تابعي ثقة، من أهل اليمن. قدم المدينة في أيام أبي بكر وسكن الكوفة، وشهد حروب علي رضي الله عنه، توفي عام ٦٣هـ. (انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ج١٠ص١٠٠-١٠١؛ الأعلام للزركلي ج٧ص٢١٥).

(٣) تفسير القرطبي: ج١٧ص١٩٤.

ويتفرّع عنها من بعد الرجاء والخوف من جهة العباد.

وثالثها: يتضح في اتصال قوله تعالى بسورة الرحمن ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾[١] بقوله تعالى في سورة الواقعة ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ.. ﴾ الآيات[٢]، إذ يلاحظ أنّه اقتصر في سورة الرحمن على ذكر انشقاق السماء؛ وفي سورة الواقعة على ذكر رجّ الأرض؛ فكأنّ السورتين لتلازمهما واتحادهما سورة واحدة، إذ ذكر في أحدهما ما يتمّ الأخرى، وقد عكس الترتيب فذكر في أول هذه ما في آخر تلك؛ وفي آخر هذه ما في أول تلك، فكانت هذه كالمقابلة لتلك وكردّ العجز على الصدر[٣]. ولذلك يقول السيوطي[٤] : هذه السورة متآخية مع سورة الرحمن في أنّ

---

(١) سورة الرحمن: الآية (٣٧).

(٢) انظر: سورة الواقعة: الآيات (١-٤).

(٣) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ج٨ص٢٠١-٢٠٢؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٩ص١٣٩؛ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ج٧ص٤٠٢،روح المعاني للآلوسي ج٢٧ص١٢٨.

(٤) هو عبد الرحمن بن أبي بكر محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين (٨٤٩-٩١١هـ): إمام حافظ مؤرخ أديب مفسر، نشأ في القاهرة يتيماً، ولـمّا بلغ أربعين سنة اعتزل الناس فألّف أكثر كتبه، وبقي على ذلك إلى أن توفي، له نحو ٦٠٠ مصنف، من أشهرها: الإتقان في علوم القرآن-تاريخ الخلفاء-الدر المنثور في التفسير المأثور-الجامع الصغير في الحديث- تدريب الراوي. (انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ج٨ص٥١؛ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي ج٤ص٦٥؛ الأعلام للزركلي ج٣ص٣٠١-٣٠٢).

كلاً منهما في وصف القيامة والجنة والنار[١]. والله أعلم.

وبهذه الحقيقة اللطيفة في وجه الصلة والمناسبة يتم التمهيد ولله الحمد والمنة.

****

(١) أسرار ترتيب القرآن للسيوطي: ص١٣٤-١٣٥.

الفصل الأوّل

" تأمّلات في مطلع السورة "

قال الله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾[1].

المبحث الأول: في الافتتاح بـ(إذا)

تفتتح هذه السورة الكريمة في آيتها الأولى بـ(إذا) الظرفيّة المضمّنة معنى الشرط، وانتصابها بجزائها وجوابها وهو قوله تعالى في الآية الثامنة وما بعدها ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ...﴾ الآيات. ويكون المعنى على هذا: إذا قامت القيامة وحصلت هذه الأحوال العظيمة من رجّ الأرض وبسّ الجبال وغيرها ظهرت منزلة فئة كلٍّ من الناس ومصيرهم[2].

- هذا وإنّ افتتاح السورة بهذا الظرف المتضمّن الشرط هو افتتاح في

---

(١) سورة الواقعة: الآيات من (١) إلى (٧).

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري ج٤ص٥٥؛ البحر المحيط لأبي حيان ج٨ص٢٠٢؛ تفسير النسفي ج٤ص٢١٤؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٧ص٢٨١؛ أضواء البيان للشنقيطي ج٧ص٧٦١. هذا وقد يكون نصب (إذا) بمضمر ينبئ عن الهول والفظاعة كأنه قيل ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ يكون من الأهوال ما لا يفي بالمقال. (انظر تفسير أبي السعود ج٨ص١٨٨).

غاية الإبداع؛ لأنه يسترعي الألباب ويجذب الأفهام لترقّب ما بعد هذا الشرط الزماني؛ مع ما في المسند إليه من التهويل بتوقُّع حدث عظيم[١].

• **لطيفة:**

يلاحظ أنّ في القرآن الكريم سبع سور ابتدأت بـ (إذا)، خمس سور منها وهي سور (الواقعة التكوير والانفطار والانشقاق والزلزلة) تدور آياتها حول محور واحد، وهو محور الاعتقاد باليوم الآخر الذي أشرت إليه في التمهيد آنفاً. وأمّا السورتان المكمّلتان سبعاً وهي المنافقون والنصر فكلّ سورة في موضوعها المتعلّق بها.

المبحث الثاني: في وجه تسمية يوم القيامة بالواقعة.

جاء التعبير القرآني عن يوم القيامة ههنا بالواقعة؛ وبمثله أيضاً في سورة الحاقّة بقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾[٢]، كما جاء التعبير في مواضع أخرى من القرآن الكريم بأسماء للقيامة غيرها كالحاقة والقارعة والطامّة والصّاخّة والآزفة، ولاشكّ أنّ تعدد الأسماء لها دالٌّ على عظم شأنها وخطرها. ولكلّ اسم من اسمائها دلالة خاصة ومعنى خاص يشير إلى شأن من شؤونها وحال من أحوالها، أو يومئ إلى حقيقة من حقائقها ووصف من أوصافها.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٧ص٢٨١.

(٢) سورة الحاقة: الآية (١٥).

وأمّا تسميتها بالواقعة فلعدّة احتمالات ذكرها المفسرون وكلّها صحيحة ومناسبة:

(**أحدها**): لتحقّق وقوعها لا محالة كأنّها واقعة في نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع في حيِّز الشرط؛ كأنّه قيل: كانت الكائنة وحدثت الحادثة[١].

(**ثانيها**): لقرب وقوعها[٢]. قال الزجاج[٣]: "يقال لكل آت كان يُتوقَّع قد وقع."[٤]، ومثله قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ..﴾ الآية[٥].

(**وثالثها**): لعظم ما يقع فيها من الأهوال والشدائد[٦]. ولذلك

---

(١) انظر: الكشاف للزمخشري ج٤ص٥٥؛ البحر المحيط لأبي حيان ج٨ ص ٢٠٢؛ تفسير أبي السعود ج٨ ص١٨٨؛ تفسير ابن كثير ج٤ ص ٢٨٢؛ تفسير النسفي ج٤ ص ٢١٤؛ محاسن التأويل للقاسمي ج١٦ص٥؛ فتح القدير للشوكاني ج٥ص١٤٦.

(٢) انظر: تفسير القرطبي ج١٧ص١٩٤؛ زاد المسير لابن الجوزي ج٨ص١٣٠؛ فتح القدير للشوكاني ج٥ص١٤٦.

(٣) هو إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (٢٤١-٣١١هـ): عالم بالنحو واللغة، ولد ومات في بغداد. كان في شبابه يخرط الزجاج، ومال إلى النحو فعلمه المبرد، من أشهر كتبه: الأمالي في الأدب واللغة، ومعالي القرآن وإعرابه. (انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ج١ص١١؛ تاريخ بغداد ج٦ ص٨٩؛ الأعلام للزركلي ج١ص٢٤٠.

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ج٥ص١٠٧.

(٥) سورة النحل: الآية (١).

(٦) انظر: النكت والعيون للماوردي ج٤ص١٦٤؛ تفسير القرطبي ج١٧ص١٩٤؛ تفسير المهايمي ج٢ص٣١٥؛ فتح القدير للشوكاني ج٥ص١٤٦.

يطلق هذا الاسم عند العرب على الداهية والحرب والنازلة من صروف الدهر[١].

وعلى هذا قال صاحب المفردات الأصفهاني[٢]: " والواقعة لا تقال إلا في الشدة والمكروه، وأكثر ما جاء في القرآن من لفظ (وقع) جاء في العذاب والشدائد نحو: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾[٣] و ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[٤]"[٥].

وأشار إلى هذا المعنى البقاعي[٦] في نظم الدرر إذ قال: " ولا واقع يستحق أن يسمى الواقعة بلام الكمال وتاء المبالغة غيرها "[٧] أي لكثرة ما يقع فيها من الشدائد والأهوال.

---

(١) انظر: لسان العرب ج٨ص٤٠٣؛ تفسير القاسمي ج١٦ص٥.

(٢) هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني أو الأصبهاني المعروف بالراغب: أديب من الحكماء العلماء، من أهل أصبهان، سكن بغداد، واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، توفي عام٥٠٢هـ، من أشهر مؤلفاته: المفردات في غريب القرآن، محاضرات الأدباء، الذريعة إلى مكارم الشريعة.(انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ص٣٩٦؛ كشف الظنون لحاجي خليفة ج١ص٣٦؛ الأعلام للزركلي ج٢ص٢٥٥).

(٣) سورة الواقعة الآية (١).

(٤) سورة المعارج: الآية (١).

(٥) المفردات للراغب الأصفهاني:ص٥٣٠.

(٦) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على بن أبي بكر البقاعي، أبوالحسن برهان الدين (٨٠٩-٨٨٥هـ): مؤرِّخ أديب مفسر، أصله من البقاع في سورية، سكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق، له مؤلفات عدّة في التاريخ والأدب والتفسير. (انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي ج١ص١٠١-١١١؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ج٧ص٣٣٩؛ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ج١ص١٩؛ الأعلام للزركلي ج١ص٥٦).

(٧) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور البقاعي: ج٧ص٤٠٢.

فهذه الاحتمالات الثلاث- كما يتضح- كلها صحيحة وتصدق على ذلك اليوم العظيم يوم القيامة. والله أعلم بمراده.

- **لطيفتان:**

الأولى: إنّ في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾ تأكيداً لتحقّق وقوعها[١].

الثانية: وفي قوله تعالى (لوقعتها) إشارة إلى أنّها تقع دفعة واحدة؛ لأنّ الوقعة هي للمرّة الواحدة[٢].

وهذا تصوير بليغ لعظم هولها وشدّتها في كونها تقع دفعة واحدة دون تدرّج أو إهمال.

المبحث الثالث: في وصفه تعالى للواقعة بقوله (خافضة رافعة)

- يصف الحقّ - تبارك وتعالى - الواقعة بأنّها خافضة رافعة. هذا وإن العرب لتستعمل الخفض والرفع في المكان والمكانة والعزّ والإهانة[٣]،

---

(١) روح المعاني للآلوسي: ج٢٧ص١٢٩. ومعنى قوله تعالى (ليس لوقعتها كاذبة) أي ليس لها حين تقع كذب أو تكذيب، وقد جاء المصدر على زنة (فاعلة) للمبالغة، أو ليس لها حين ذلك نفس كاذبة تكذب على الله أو تكذب في نفسها. (انظر: تفسير الطبري ج٢٧ص٩٦؛ الكشاف للزمخشري ج٤ص٥٥؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٩ص١٣٩؛ محاسن التأوي للقاسمي ج١٦ص٥).

(٢) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٩ص١٤٠.

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور ج٧ص١٤٥؛ تفسير القرطبي ج١٧ص١٩٧؛ فتح القدير للشوكاني ج٥ص١٤٧.

وعلى هذا فإنّ أحد المعاني التي حُمِل عليها الوصف ههنا[١] أنّها – أي الواقعة – تخفض أقواماً إلى النار؛ وقد كانوا أعزّاء مرتفعين في الدنيا وهم العصاة والجبابرة والمفسدون وغيرهم ممّن عزّوا في الدنيا بظلم أو إفساد أو معصية أو نفاق، وفي مقابلة ذلك ترفع أقواماً إلى جنة الله ونعيمه؛ وقد كانوا في الدنيا وُضَعاء أذِلاّء في نظر أولئك الأشرار، وهؤلاء هم عباد الله الصالحون والمتقون والمستضعفون في دينهم الحق[٢]؛ ذلك لأن يوم القيامة تستقيم كل الموازين والقيم والاعتبارات بعد أن اختلت في الدنيا عند أهلها وطلاّبها.

– وللمتأمل – في هذا المقام- عبرة وأي عبرة، فإنه ما يشاهد على هذه الأرض في هذه الدار الفانية من ارتفاع أسهم أهل الكفر والفسق والفجور والظلم والنفاق لهو مظهر من مظاهر هذه الدنيا التي يغتر بها أهلها وعشّاقها؛ فيمجدون ويرفعون من لا يستحق رفعة ولا مجداً بل ولا

---

(١) ومّما حُمل عليه هذا الوصف – أيضاً – أنها خفضت صوتها فأسمعت القريب ورفعت فأسمعت البعيد؛ وقيل: إنها خافضة لجهات كانت مرتفعة كالجبال والصوامع رافعة ما كان منخفضاً بسبب الانقلاب بالرجّات والزلازل الأرضية. ولا ريب أنّه يصحّ حملها على الجميع. (انظر: تفسير ابن كثير ج٤ص٢٨٢؛ تفسير السعدي ج٧ص٢٦١؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٧ص٢٨٣؛ أضواء البيان للشنقيطي ج٧ص٧٦٤-٧٦٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري ج٢٧ص٩٦؛ تفسير كتاب الله العزيز لهود بن محكم الهواري ج٤ص٢٧٣؛ الكشاف للزمخشري ج٤ص٦٦؛ معاني القرآن الكريم للزجاج ج٥ص١٠٧؛ تفسير القرطبي ج١٧ص١٩٥-١٩٧؛ تفسير ابن كثير ج٤ص٢٨٢، تفسير القاسمي ج١٦ص٥؛ تفسير الآلوسي ج٢٧ص١٣٠؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٢٨٣؛ أضواء البيان ج٧ص٧٦٤-٧٦٥.

ذكراً، ثم يسخرون ويحقرون من سواهم من أهل الصلاح والخير والدعوة إلى الله. وإن هو إلا اختلال القيم والمبادئ وتبدل الأفكار والمفاهيم؛ وإن العبرة الحقيقية بما يكون من الحق في ميزان الله تعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1] ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، والعبرة أيضاً بمايكون من بعدُ في دار الجزاء، وإن لم ينل أهل الحق في هذه الدار رفعة ولا نصراً ولا ذكراً. فلا يضرّ أهل الحق من ذلك من شيء فإنهم في ميزان الله هم الأكرم والأرفع وغداً ينتظرهم نعيم لا ينفد.

- وفي وصف الواقعة بهاتين الصفتين - أيضاً - ترغيب وترهيب، فعلى العباد أن يخشوا ويخافوا في هذه الدنيا من أسباب الحفض في الآخرة؛ وأن يرغبوا ويجتهدوا في نيل وطلب أسباب الرفع فيها؛ وذلك بطاعته وتحكيم شرعه ومنهجه في حياتهم إذ يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾[3].

■ لطيفتان:

اللطيفة الأولى:

إن في وصف الواقعة بقوله: (خافضة رافعة) تقريراً لعظمتها

---

(١) سورة الحجرات:الآية (١٣).

(٢) سورة المنافقون: الآية (٨).

(٣) سورة طه: الآيتان (٧٥-٧٦).

وتهويلاً لأمرها، فإن الوقائع العظام شأنها الخفض والرفع كما يُشاهد في صروف الدهر وظهور الفتن وتبدّل الدول[١].

اللطيفة لثانية:

إنّ في تقديم الخفض على الرّفع – في الآية الكريمة- تشديداً في التهويل[٢].

المبحث الرابع: في اختلال نظام الكون يوم القيامة.

- تحدّث القرآن الكريم في مطلع هذه السورة عمّا يكون من أعظم أهوال يوم القيامة في اختلال النظام الكوني المشير إلى انقضاء الحياة الدنيا ونهاية العالم؛ وأنّه قد جاء أمر الله وكَمُل الغرض، ولم يبق هناك من حاجة في الديمومة لهذا الكون واستمراره ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾[٣]. ذلك هو قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا[٤] ﴿٤﴾. وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا[٥] ﴿٥﴾. فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾[٦]. هذا وقد أخبر الله تعالى في

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود ج٨ص١٨٨؛ تفسير الآلوسي ج٢٧ص١٣٠.

(٢) انظر: المرجعين السابقين وبنفس الصفحات.

(٣) سورة النجم: الآية (٤٢).

(٤) أي حرّكت تحريكاً شديداً فاهتزت واضطربت بطولها وعرضها. قال الربيع بن أنس: ترجّ بما فيها كرجّ الغربال بما فيه (انظر: تفسير ابن كثير ج٤ص٢٨٢).

(٥) أي فتتت حتى صارت مثل السويق الملتوت؛ من بسّ السويق إذا لتّه، أو سيقت وسُيّرت من أماكنها؛ من بسّ الغنم إذا ساقها. (انظر: تفسير أبي السعود ج٨ص١٨٩).

(٦) أي صارت الجبال بعد بسّها غباراً متفرّقاً منتشراً (تفسير أبي السعود ج٧ص١٨٩).

كتابه –كذلك – عن صور أخرى من هذا الاختلال في غير هذه السورة، ففي سورة التكوير يقول سبحانه: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾[1]، وفي سورة الانفطار يقول تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾[2]. وإنه ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾[3].صور تنبئ عن مشهد الانقلاب والاختلال التامّ لكل معهود وموجود... الانقلاب والاختلال الذي يشمل الأجرام السماوية والأرضية والوحوش النافرة والأنعام الأليفة والبشرية كلّها وبكلّ أوضاعها ومقاديرها. كونٌ كان في غاية التناسق والجمال والاتزان؛ وفي قمّة الضبط والدّقة والاتقان، لكنّه في هذه الساعة الرهيبة ينفرط عقده وتتناثر أجزاؤه وينتهي بأمر الواحد القهّار.. وتصير الخلائق من بعد إليه.. وإنّه لمشهد في غاية الرهبة والهول يدعونا بما فيه أن نرتفع بمشاعرنا وقلوبنا وسلوكنا عن هذه الدنيا الزائلة الفانية ومظاهرها الزائفة الخادعة، وأن نتحرّر من أسرها وقيودها؛ وفي ذات الوقت تطلبنا أن نقوّي صلتنا بربنا الباقي الأحد ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[4] فنسموا بأرواحنا وقلوبنا ونرقى

(١) سورة التكوير: الآيات من (١) إلى (٦).

(٢) سورة الانفطار: الآيات من(١) إلى (٣).

(٣) سورة إبراهيم: الآية (٤٨).

(٤) سورة الرحمن: الآيتان (٢٦-٢٧).

بسلوكنا وأخلاقنا مهتدين بهديه متمسكين بعرى شرعه، وهذا هو الأثر المرجوّ منّا تجاه ما أخبرنا الله عنه من مشاهد الانقلاب والاختلال الكوني في يوم الواقعة.

وبهذه الكلمات يتمّ الحديث حول تأمّلات في مطلع السورة ولله الحمد والمّنة.

****

الفصل الثاني

"تأمّلات في وصف السابقين ونعيمهم"

قال الله تعالى ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ... ﴾ الآيات[1].

تقديم:

بعد أن ذكر الله – تعالى- في مطلع السورة ما يكون من أهوال يوم القيامة أخبر أن الناس ينقسمون حينذلك إلى ثلاثة أصناف حسب ما قدموه في حياتهم الدنيا من عمل فقال سبحانه: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾[2]. هذا وقد تضمن التقسيم إشارة إلى مكانة هذه الأصناف وأحوالها؛ فالميمنة إما أن تكون مشتقة من جهة اليمين وهي عند العرب جهة عناية وكرامة وحسن وتفاؤل، أو تكون مشتقة من اليُمن وهو الخير والبركة، وكلا الأمرين عبارة عن الخير؛ فتدل على أن أصحاب الميمنة هم أهل خير وبركة ومآلهم وحالهم عند الله تعالى- بذلك – إلى خير. أما المشأمة فإما أن تكون مشتقة من الشؤم وهو السوء والضُرّ

---

(١) انظر: سورة الواقعة: الآيات من (١٠) إلى (٢٦).

(٢) سورة الواقعة: الآيات من (٧) إلى (١٠).

وعدم النفع؛ أو مشتقة من اليد الشؤمى وهي اليسرى أو الجهة اليسرى وهي عند العرب جهة سوء وشؤم،وكلا الأمرين يدلان على السوء والشر، وبالتالي فإن أصحاب المشأمة المنسوبين إليها هم أهل سوء وشر في حالهم ومآلهم[١].

ثم إنه ليزيد من بيان حالهم مجيء (ما) الاستفهامية الدالة على التعجب والتعظيم من شأن كل من الفئتين، أي كأنه قيل: فأصحاب اليُمن والسعادة ما أعظم يُمنهم وسعادتهم؛ وأصحاب الشؤم والشقاوة ما أعظم شؤمهم وشقاوتهم[٢].

- أمّا الفئة الثالثة وهي الفئة العليا وهم السابقون فإنّه لم يذكر عندها هذا الاستفهام التعجّبي ولكنّه كُرّر في مقابله لفظ السابقين فقال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾، وهو على عادة العرب في تكريرهم اللفظ وقصدهم الإخبار بالثاني؛ يعنون أنّ اللفظ المخبر عنه هو المعروف خبره

---

(١) انظر: تفسير القرطبي ج١٧ص١٩٨؛ تفسير الثعالبي ج٤ص٢٥٠؛ لسان لعرب ج١٣ص٤٥٨؛ أضواء البيان ج٧ص٧٦٧؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٢٨٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري ج٢٧ص٩٩؛ معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٤ص١٠٩؛ تفسير الثعالبي ج٤ص٢٥٠؛ تفسير القرطبي ج١٧ص١٩٩؛ تفسير المهايمي ج٢ص٣١٦؛ تفسير القاسمي ج١٦ص٧؛ تفسير البيضاوي ج٥ ص١١٢ أضواء البيان ج٧ص٧٦٨؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٢٨٧. وهذا الأسلوب يكثر في القرآن نحو (الحاقة ما الحاقة) و (القارعة ما القارعة) وهو أسلوب مجراه في العربية مجرى التعجب ومجراه عن الله تعالى في مخاطبة العباد مجرى ما يعظم به الشأن عندهم. قال أبو حيان: وأكثر ما يكون ذلك في موضع التهويل والتعظيم. (انظر: البحر المحيط لأبي حيان ج٨ص٢٠٥؛ نظم الدرر للبقاعي ج٧ص٤٠٤؛ أضواء البيان ج٧ص٧٦٨).

الذي لا يحتاج إلى تعريف. هذا بالإضافة إلى أنّه قد نصّ على أنّهم مقرّبون فدلّ على مكانتهم وحالهم؛ ذلك ومع ما في اشتقاق لقبهم من السبْق من الدلالة على بلوغهم أقصى ما يطلبه الطالبون[١].

المبحث الأول: في حقيقة السَّابقين ووصفهم:

- السبق في أصله هو التقدُّم في السَّيْر ثُمّ استعمل في غيره من التقدّم[٢]. والمراد بالسابقين في هذا المقام الكريم هم المبادرون إلى فعل الخيرات والطاعات والقربات كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾[٣]، وفي وصفه لهم قال أيضاً: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[٤] فإنهم لما سبقوا غيرهم في الدنيا إلى عمل الخير والبر والطاعة دون تلعثم أو توان كانوا في الآخرة من

---

(١) انظر: التحرير والتنوير ج٢٧ص٢٨٧؛ أضواء البيان ج٧ص٧٦٨.

ومن أسلوب التكرير هذا قول أبي النجم:

أنا أبو النجم وشعري شعري لله دري ما أجن صدري. فقوله: شعري شعري يعني شعري هو الذي بلغك خبره وانتهى إليك وصفه.

ومنه أيضاقول أبي الطمحان القفيني:

وإني من القوم الذين هموا هموا إذا مات منهم سيد قام صاحبه (انظر: المرجعين ذاتهما).

(٢) انظر: مختار الصحاح للرازي ص٢٨٤؛ روح البيان للبرسوي ج٩ص٣١٩.

(٣) سورة فاطر: الآية (٣٢).

(٤) سورة المؤمنون: الآية (٦١).

السابقين إلى جنة الله وكرامته ورضوانه[١].

مطلب: في وصفهم بالمقربين:

وصف الله تعالى السابقين أول ما وصفهم بصفة عظيمة تنبئ عن أعظم ما يكون من النعيم الذي أعده لهم وهو قربهم منه سبحانه إذ قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ فهم المقربون الذين قربت درجاتهم وأعليت مراتبهم واصطفاهم الله لرؤيته في الجنة، فحيث تسابقوا لطاعته كان جزاؤهم من الله القرب والاصطفاء زيادة على كونهم في الجنة ولذلك قال سبحانه في جزائهم: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ..﴾الآية[٢]، وقد روى مسلم[٣] في صحيحه بسنده عن صهيب عن النبي ﷺ قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عزّوجلّ، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[٤].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ج٤ص٢٨٣؛ تفسير الثعالبي ج٤ص٢٥٠؛ الكشفاف للزمخشري ج٤ص٥٦؛ معاني القرآن للزجاج ج٥ص١٠٩؛ تفسير البيضاوي ج٥ص١١٢.

(٢) سورة يونس: الآية (٢٦). وانظر: حاشية الصاوي على الجلالين ج٤ص١٦١.

(٣) هو الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو الحسين (٢٠٤-٢٦١هـ): حافظ من أئمة المحدثين، ولد بنيسابور، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق. وتوفي بظاهر نيسابور. أشهر كتبه: صحيح مسلم. (انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ج٢ص١٥٠؛ تهذيب التهذيب لابن حجر ج١٠ص١١٣-١١٤؛ الأعلام للزركلي ج٧ص٢٢١-٢٢٢).

(٤) رواه مسلم في صحيحه، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى حديث (٢٧٧) ج١ص٤٢٦-٤٢٧(طبعة الشعب).

- والذي يجدر ملاحظته أنه تعالى وصفهم بأنهم مقربون ولم يقل: قريبون، لأن المقرّب أبلغ من القريب لدلالة صيغته على الاصطفاء والاجتباء[١].

- كما أنّه لم يقل متقرّبون؛ ليدلّ بذلك على أنّ بتقريبهم ربهم سبقوا لا بتقريب أنفسهم؛ وفيه إشارة إلى فضله العظيم سبحانه عليهم فالله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم؛ فلولا تقريبه تعالى لهم لما حازوا على هذه المرتبة العليا والدرجة الفضلى[٢].

مطلب: في الإعراب.

في إعراب قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ وجهان:

الوجه الأول:

و "**السابقون**" : مبتدأ، "**السابقون**" توكيد، وقوله : (أولئك المقربون) خبر المبتدأ.

الوجه الثاني:

و"**السابقون**": مبتدأ، "**السابقون**" خبر بمعنى: والسابقون إلى طاعة الله السابقون إلى رحمة الله. ويكون: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾صفة لهم[٣].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير ج٢٧ص٢٨٨.

(٢) انظر: نظم الدرر للبقاعي ج٧ص٤٠٥؛روح البيان للبرسوي ج٩ص٣١٩.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٥ص١٠٩.

■ لطائف:

اللطيفة الأولى:

يلاحظ أن السابقين قد أُخرِّ ذكرهم مع أنهم في المقام الأعلى والدرجة الأسنى، ولذلك فقد اجتهد بعض أهل التفسير في بيان علّة هذا التأخير وذكروا عدّة أمور من أهمّها وأقربها وجهة أنّه ليقترن به ما بعده من بيان محاسنهم وحسن ثوابهم وعظيم ما أعدّ الله لهم[١]. و(منها) لئلا يعجب السابقون بأعمالهم؛ كما قدّم أصحاب اليمين لئلا يقنطوا من رحمة الله[٢]. و(منها) أنهم قالوا: إنّ الله تعالى لـمّا ذكر في أوّل السورة من الأهوال عند قيام الساعة تخويفاً لعباده؛ فإما محسن فيزداد رغبة في الثواب وإمّا مسيء فيرجع عن إساءته خوفاً من العقاب، فلذلك قدّم أصحاب اليمين ليسمعوا ويرغبوا ثُم ذكر أصحاب الشمال ليرهبوا ثم ذكر السَّابقين ليجتهد أصحاب اليمين في القرب من درجتهم[٣]. ومنها ما قيل أيضاً إنه أخرّهم تشويقاً للسامعين إلى معرفة صفتهم وفضلهم ليرغبوا في الاقتداء بهم وسلوك سبيلهم[٤].

اللطيفة الثانية:

إنّ في حذف متعلّق (السابقون) رغبة لجعل هذا الوصف بمنزلة

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود ج٨ص١٨٩؛ فتح القدير للشوكاني ج٥ص١٤٨روح البيان للبرسوي ج٩ص٣١٩.

(٢) انظر: حاشية الصاوي على الجلالين ج٤ص١٦١.

(٣) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٩ص١٤٣؛ تفسير الخازن ج٧ص١٥.

(٤) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٧ص٢٨٨.

اللقب لهم،وليفيد العموم بأنهم سابقون في كلّ ميدان تتسابق إليه النفوس الزكيّة المحسنة[١].

اللطيفة الثالثة :

إنّ اسم الإشارة (أولئك) بقوله تعالى (أولئك المقربون) بما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه إيذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف. هذا مع ما يفيده من التنبيه على أنّهم جديرون بما يخبر عنه من أجل الوصف الوارد قبله[٢].

اللطيفة الرابعة :

إنّ الإضافة بقوله تعالى: (في جنّات النعيم) من إضافة المكان إلى ما يقع فيه، فيقال مثلاً دار الضيافة ودار الدعوة، فكذلك جنة النعيم، وفائدة هذه الإضافة أنّ الجنان في الدنيا قد تكون للنعيم وقد تكون للاشتغال والتعيّش بأثمان أثمارها؛ بخلاف الجنّة في الآخرة فإنّها للنعيم لا غير[٣].

اللطيفة الخامسة :

إنّ ابتداء تفصيل الجزاء للأصناف الثلاثة هو على طريقة النشر بعد اللفّ، نشراً مشوشاً اقتضته مناسبة اتصال المعاني بالنسبة إلى كل صنف أقرب ذكراً، ثم مراعاة الأهم بالنسبة إلى الصنفين الباقيين فكان بعض الكلام آخذاً بحجز بعض[٤].

---

(١) المرجع السابق: ج٢٧ص٢٨٧.

(٢) انظر: تفسير أبي السعود ج٨ص١٩٠؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٢٨٨.

(٣) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٩ ص١٤٧؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٢٨٩.

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور: ج٢٧ص٢٨٨.

- **مطلب: في الاعتراض بقوله تعالى:** ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾[1].

يخبر الله - تبارك وتعالى- بهاتين الآيتين الكريمتين اللتين وقعتا في محل الاعتراض بين قوله سبحانه (في جنّات النعيم) وقوله (على سرر موضونة) عن صفة من صفات السابقين المقرّبين بأنهم ثلّة[2]. من الأولين وقليل من الآخرين[3]. وإنما جيء بهذا الوصف والمعترض لقصد التنويه بصنف السابقين وتفضيلهم عن طريق ما يُشعر به لفظاً (ثلة- قليل) بأنهم قُلٌّ من كُثُر، فيستلزم ذلك أنّهم صنف عزيز نفيس؛ لِما عُهد في العُرْف من قلّة الأشياء النفيسة[4]. كما أنّ في هذا الاعتراض- ما لايخفى- من التحفيز للمؤمنين بأن يسلكوا سبيلهم ليكونوا من هذا القليل الذي هو في أرقى المنازل وأعلاها عند الله عزّوجلّ.

المبحث الثاني: في وصف نعيم السابقين

قال الله تعالى: ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾

---

(١) سورة الواقعة: الآيتان (١٣-١٤).

(٢) الثُلّة: اسم للجماعة من الناس مطلقاً قليلاً كانوا أو كثيراً، وقوبل(ثلة) بـ (قليل) للإشارة إلى أنّ الثلّة أكثر منه. (انظر: معاني القرآن للزجاج ج٥ص١٠٩؛ مختار الصحاح للرازي ص٨٦؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٢٩٠).

(٣) الراجح من أقوال المفسرين أن المراد بالأولين الأمم الماضية، والمراد بالآخرين أي من هذه الأمة المحمدية على نبيها أفضل الصلاة والسلام. (انظر: تفسير القرطبي ج١٧ص٢٠٠؛ تفسير الخازن ج٧ص١٥؛ التحرير والتنوير ج ٢٧ص٢٩٠؛ أضواء البيان ج٧ص٧٦٩-٧٧٠).

(٤) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٧ص٢٨٩.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴾[1].

- يعود الكلام بعد الاعتراض إلى ذكر ما أنعم الله به على عباده السابقين في جنات النعيم، وهو دعوة وأيّ دعوة وترغيب أيّ ترغيب للمؤمنين أن يتنافسوا ويتسابقوا في التقرّب إلى الله تعالى، وهو أسلوب قرآني مطَّرد؛ يصف الله جنته لعباده فيرغبهم في طاعته ورضوانه بما أعدّه فيها، بل وقد جاء الأمر الإلهي بالمسابقة والمسارعة والتنافس إلى الجنة ونعيمها، من ذلك قوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[2]، ومثله- أيضاً- قوله سبحانه ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[3]، وفي سورة المطففين بعد أن ذكر الله تعالى بعضاً من نعيم الجنّة قال سبحانه ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾[4].

---

(١) سورة الواقعة: الآيات من (١٥) إلى (٢٦).

(٢) سورة الحديد: الآية (٢١).

(٣) سورة آل عمران: الآية (١٣٣).

(٤) سورة المطففين: الآية (٢٦).

- إن القرآن الكريم يريد بأسلوبه الأخّاذ- هذا- أن يُوجد عند المؤمنين نفسيات سامية وهمماً عالية متوثبة تتوق إلى أعلى الجنان تتنافس على القرب ولا تقنع بالقليل منها؛ بل تسعى بكلّ ما وهبها الله- تعالى- من مواهب وإمكانات، وفي كلِّ مواطن القُرَب والبرّ؛ طلباً منها لنيل أعلى الدرجات وأقربها من الرّحمن سبحانه.

وأيّ بركة وأيّ خير وأيّ نماء يحلّ بالمجتمعات التي يوجد فيها هؤلاء الصالحون المتسابقون !!!

مطلب: في غاية ذكر الاتكاء والتقابل تعالى ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾(١) مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ﴾.

- بعد أن أخبر الله تعالى أنّهم على سرر موضونة ذكر حالهم عليها بما ينبئ عن كمال استقرارهم وغاية سعادتهم وطمأنينة بالهم فقال: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ

---

(١) سميت السرر سرراً لأنها مجالس السرور، وإذ هي مما يسرّ الإنسان من المقاعد العالية المصنوعة للراحة والكرامة. (انظر: النكت والعيون للماوردي ج٤ص١٦٦؛ نظم الدرر للبقاعي ج٧ص٤٠٧). ووصفت السرر بموضونة أي منسوجة بالذهب، وبعضهم يقول: بقضبان الذهب مشبكة بالدرّ والياقوت، إذ كل نسج أحكم ودوخل بعضه تسميه العرب وضناً، وتسمي المنسوج به موضوناً ووضيناً، ومنه الدرع الموضونة إذا أحكم نسجها ودوخل حلقاتها في بعض. (انظر: تفسير الطبري ج٢٧ص١٠٠؛ أضواء البيان ج٧ص٧٧١؛ترتيب القاموس المحيط للطاهر الزاوي ج٤ص٦٢٦). هذا وقد جاء وصف هذه السرر في سورة الطور آية (٢٠) بأنها مصفوفة قال تعالى: (متكئين على سرر مصفوفة) وفي سورة الغاشية آية (١٣) بأنها مرفوعة في قوله تعالى: (فيها سرر مرفوعة) وهي أوصاف تضاف إلى وصفها بأنها موضونة ولاتعارض بينها بل هي تتمة لأوصافها، وهذه السرر- أيضاً- هي المعبرّ عنها بالأرائك في آيات أخرى والله أعلم.

عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴾ والاتكاء هو عبارة عن الجلوس على هيئة المتربّع، أو الجلوس مع الميل فيه والاعتماد على أحد الشقّين[١]، وبذلك على هاتين الهيئتين هو جلوس يدلّ على التمكن والاستقرار وغاية الراحة والطمأنينة التي يتمتّع بها أهل الجنّة السابقون. هذا وقد أشار الفخر الرازي[٢] أنه ذُكِرت هذه الحال (متكئين) للتأكيد حتى لايظنّ أنّهم كائنون على سرر ولكنهم متكئون على غيرها كما هو حال من يكون على كرسيّ صغير لا يسعه للاتكاء فيوضع تحته شيء آخر للاتكاء عليه، فلمّا قال على سرر متكئين عليها دلّ على أنّ استقرارهم واتكاءهم جميعاً عليها[٣]. وهي إشارة جديرة بالذكر؛ وفيها دلالة- بلاشكّ- على ما ذكرته آنفاً.

• وأما الحال الثانية وهي قوله تعالى (متقابلين) فتدل على ما هم فيه من تمام النعيم لأنسهم بمشاهدة أهليهم وأصحابهم والحديث معهم[٤]، هذا مع ما في نظر بعضهم إلى وجوه بعض دون النظر إلى أقفاء بعضهم من دلالة على ما حباهم الله تعالى من حسن العشرة وكريم الخلق وصفاء

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ج١ص٢٠٠؛ ترتيب القاموس المحيط ج٤ص٦٤٩.

(٢) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله (٥٤٤-٦٠٦هـ): الإمام المفسر، قرشي النسب، أصله من طبرستان، ومولده في الري، وإليها نسبته، ويقال له: "ابن خطيب الري"، رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان وتوفي في هراة. من أشهر مصنفاته: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)- المحصول في علم الأصول. (انظر: لسان الميزان لابن حجر ج٤ص٤٢٦؛ طبقات الشافعية للسبكي ج٥ص٣٣؛ البداية والنهاية لابن كثير ج١٣ص٦٠؛ الأعلام للزركلي ج٦ ص٣١٣).

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج٢٩ص١٤٩.

(٤) انظر: التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٩٣.

المودة، ويدل عليه قوله عزوجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [(١)]. والله أعلم بمراده.

مطلب: في وصفه تعالى لخمر الجنة بقوله: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾

ومن عظيم تكريم الله تعالى للسابقين المقربين أن هيأ لهم من الولدان الذين خلقهم لضيافتهم، فهم يطوفون عليهم- وهم على سررهم متكئين- بأكواب وأباريق وكأس من معين، أي من خمر تجري من العيون[(٢)]. كما قال تعالى: ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾[(٣)]، فهي خمر طيبة يتنعم أهل الجنة بشربها ليست كخمر الدنيا، ولذلك وصفها تعالى بقوله ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ والمراد من قوله تعالى: ﴿يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ أي لا يصيبهم الصُّداع، وهو الوجع في الرأس، فهم لا يناهم عند شربها ما ينال أهل الدنيا من الصُّداع، وهذا المعنى هو الذي عليه أكثر المفسرين[(٤)].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٥ ص١١٠؛ تفسير ابن كثير ج٤ص٢٨٦؛ والآية بسورة الحجر رقم(٤٧).

(٢) الأكواب جمع كوب وهو إناء للخمر لا عروة له ولا خرطوم وفيه استدارة متسع موضع الشرب فيه فهو كالقدح، والإبريق ماله خرطوم وعروة وهو إناء يحمل فيه الخمر للشاربين، والكأس كالكوب ولكنه مستطيل ضيق المشرب وهو اسم جنس يصدق على الواحد والمتعدد، وإن لم يكن فيه شراب فليس بكأس. (انظر: تفسير الطبري ج٢٧ص١٠٠؛ معاني القرآن للزجاج ج٥ ص١١٠؛ حاشية الصاوي ج٤ص١٦٢؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٢٩٣-٢٩٤).

(٣) سورة محمد ﷺ الآية (١٥).

(٤) وقيل في المعنى الآخر: أي لا يتفرّقون عنها بعد شربها كما يتفرّق أهل الدنيا، وهو من الصُّداع بمعنى التفرّق. (انظر: تفسير القرطبي ج١٧ص٢٠٤؛ معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٥ص١١٠؛ زاد المسير لابن الجوزي ج٨ص١٣٦؛ روح البيان للبرسوي ج٩ص٣٢٢؛ لسان العرب لابن منظور ج٨ص١٩٥).

- أمّا الوصف الثاني فهو قوله تعالى ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [١] وهو معطوف على ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ فيقدَّر له متعلّق دلّ عليه متعلّق ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ﴾؛ وقد قال تعالى في سورة الصافات: ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾[٢] والمراد أي لا يعتريهم نزْف بسببها كما يحصل للشاربين في الدنيا، والنَزْف هو اختلاط العقل ويراد به السُّكْر الحاصل من شربها[٣]. هذا وفي ذكر الله- تبارك وتعالى- لأوصاف خمر الجنة تعريض بخبث خمر الدنيا وسوء حال شاربيها، وفي ذات الوقت فيه إشارة إلى المؤمنين المطيعين لأمره سبحانه المنتهين عمّا حرّمه عليهم بأنّه سيؤتيهم في جنّته ما تشتهيه أنفسهم ويبدلهم خيراً عوضاً لقاء تركهم لِما نهاهم عنه، فمن ترك شيئاً لله أبدله الله خيراً منه.

مطلب: في وجه تقديم الفاكهة على اللحم بقوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾[٤].

---

(١) قرأ الجمهور (ينزَفون) بفتح الزاي من "أنزف" الذي همزته المتعدية، وقرأ حمزة والكسائي وخلف بكسر الزاي من أنزف المهموز القصر إذا سكر وذهب عقله- وفيه معنى آخر أي لا تفنى خمرهم. (انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج٢ص٣٥٧؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٧ص٢٩٥؛ معاني القرآن للفراء ج٣ص١٢٣؛لسان العرب ج٩ص٣٢٧).

(٢) سورة الصافات: الآية (٤٧).

(٣) انظر: تفسير البغوي ج٤ص٢٨١؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٢٩٤.

(٤) سورة الواقعة: الآيتان (٢٠-٢١).

- من أصحّ وأرجح ما ذُكِر من الأوجه في حكمة تقديم الفاكهة على اللحم بهذا النصّ الكريم أنه لـمّا كان حال أهل الجنّة- كما هو ثابت ومعلوم- حال الشبعان فلا يجوعون، وأكلهم في الجنة على هذا لا عن جوع إنّما هو للتلذّذ والتفكّه، فلـمّا كان حالهم كذلك فإنّ ميلهم إلى الفاكهة أكثر؛ ولذلك قدمها في الذكر على اللّحم[١]. ولذلك- أيضاً- عبِّر بالتخيّر للفاكهة وبالاشتهاء للّحم لأنّهما إذا حضرا عند الجائع تميل نفسه للحم؛ وإذا حضرا عند الشبعان تميل نفسه إلى الفاكهة؛ فالجائع مشته والشبعان غير مشته بل هو متخيّر[٢].

لطيفة:

يلاحظ أنّ الله تبارك وتعالى قال: ﴿مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ ولم يقل يختارون؛ مع قرب أحدهما من الآخر في المعنى، ووجه الحكمة في هذا – والله أعلم –أنّ التخير من باب التكلّف؛ فكأنّهم يأخذون ما يكون في نهاية الكمال، وهذا لا يوجد إلا ممّن لا يكون له حاجة ولا اضطرار. وذلك هو حال أهل الجنة فناسب الإتيان بلفظ يتخيّرون دون يختارون[٣].

مطلب: في تشبيه الحور العين باللؤلؤ المكنون.

يصف الله تبارك وتعالى ما أنعم به على عباده المقربين من الحور العين

---

(١) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٩ص١٥٣؛ تفسير الخازن ج٧ص١٣-١٧.

(٢) انظر: تفسير الخازن ج٧ص١٦-١٧.

(٣) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٩ص١٥٣.

بوصف في غاية الكمال والجمال، وذلك حينما قال سبحانه: ﴿وَحُورٌ عِينٌ (٢٢)﴾[١] ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾[٢] فشبههن باللؤلؤ المكنون. هذا وقد اجتمع في التشبيه- ههنا- أداة التشبيه- وهي الكاف- مع لفظ الأمثال وهي الأشباه، وذلك يفيد التأكيد والزيادة والقوة في التشبيه[٣].

وأمّا وجه الشبه فهو في صفائهن وتلألئهن وتشاكل أجسادهن في الحسن من جميع جوانبهن كصفاء وتلألأ الدر المخزون في أصدافه حين يخرج منها؛ لم يغيّره الزمان واختلاف أحوال الاستعمال[٤].

مطلب: في الاعتراض بقوله تعالى ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٥].

يجيء قول الحق سبحانه وتعالى ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ معترضا بين الآيات التي يتكلم الله تعالى فيها عن نعيم السابقين. هذا وقد اجتهد

---

(١) قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي بالخفض(وحور عين) عطفا على (جنات النعيم)أي وهم في جنات وفي حور على تقدير مضاف محذوف أي وفي معاشرة حور، وقرأ الباقون بالرفع (وحور عين) عطفا على (ولدان)؛ أو على تقدير مبتدأ أي نساؤهم حور عين، أو على تقدير خبر أي ولهم حور عين. (انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج٢ص٣٨٣؛ الغاية في القراءات العشر لأحمد بن حسين بن مهران النيسابوري ص٢٧٠؛ فتح القدير للشوكاني ج٥ ص١٤٩؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٢٩٦). والحور جمع حوراء وهي النقية بياض العين الشديدة سوادها، والعين جمع عيناء وهي واسعة العين في حسن. (انظر: تفسير الطبري ج٢٧ص١٠٢).

(٢) سورة الواقعة: الآيتان (٢٢-٢٣).

(٣) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٩ص١٥٤؛التحرير والتنوير ج٢٧ص٢٩٦.

(٤) انظر:تفسير الطبري ج٢٧ص١٠٢؛ معاني القرآن للزجاج ج٥ص١١١؛ تفسير القرطبي ج١٧ص٢٠٥؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٢٩٦.

(٥) سورة الواقعة: الآية (٢٤).

بعض المفسرين في وجه الحكمة بمجيئه قبل تمام ذكر النعم، ولقد رأيت أن أحسن وأنسب ما ذكروه من الوجوه ما يلي: (**أحدها**) إنّ ما ذُكِر من النعيم قبل مجيء الاعتراض كان على ما قدّموه من الأعمال؛ فناسب أن يقول بعده ﴿جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، أمّا ما ذكر من النعيم بعد الاعتراض وهو قوله تعالى ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾[1] فهو من أتمّ النعم التي هي من باب الزيادة التي منها رؤية الله سبحانه وسماع كلامه؛ ولا مقابل لها من الأعمال، وهذا على أنّ معنى قوله تعالى ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ هو ما جاء بيانه في آية سورة يس ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[2]، فلذلك ناسب الفصل بين هذه النعم في الجنة بهذا الاعتراض[3]. والله أعلم.

(**وثانيها**) ليدلّ على أنّ تلك النّعم الفعلية المذكورة قبل الاعتراض هي بمقابلة أعمالهم؛ وأنّ النِّعم القولية بعده في مقابلة أذكارهم الحسنة[4].

---

(١) سورة الواقعة: الآيتان (٢٥-٢٦). واللغو هو مايعرض عنه من الكلام ويستحقّ أن يُلغى وهو القبيح والباطل من القول، والمراد ليس فيها لغو فيُسمع(ولا تاثيماً) أي لا يقول بعضهم لبعض أثمت لأنّهم لا يتكلّمون بما فيه إثم كالكذب ونحوه، وقيل لا يأتون تأثيماً أي ما هو سبب التأثيم من قول أو فعل قبيح. (انظر: تفسير القرطبي ج١٧ص٢٠٦؛ تفسير الخازن ج٧ص١٧؛ مختار الصحاح للرازي ص٦، ٦٠٠).

(٢) سورة يس: الاية (٥٨).

(٣) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٩ص١٥٨.

(٤) انظر: المرجع السابق ج٢٩ص١٥٨.

(**وثالثها**) إنّه لما أبلغ الله تعالى في وصف جزائهم بالحُسْن والصفاء دلّ على أنّ أعمالهم كانت كذلك لأنّ الجزاء من جنس العمل فقال ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، وليدلّ- أيضاً- أنّه لمّا أثبت سبحانه للجنة ونعيمها الكمال، ناسب بعده أن ينفي عنها النقص بقوله ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾. والله أعلم بمراده[1].

■ لطائف:

اللطيفة الأولى:

إنّ في قوله تعالى ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ إشارة إلى أنّ ما أوتيه السابقون من النعيم إنّما هو بسبب أعمالهم الصالحة التي قدّموها في دنياهم، كما أن فيه دلالة على أنّ المنازل والدرجات في الجنّات منقسمة على قدر الأعمال؛ أمّا نفس دخول الجنة فبفضل الله وبرحمته لا بعمل عامل كما هو معلوم وثابت في الصحيح.

اللطيفة الثانية:

إنّ في قوله تعالى ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ إشارة إلى أنّ الجنة خالية ومنزّهة عن كلّ ما يكدّر وينغّص على أهلها من سوء المقال والفعال، فهي جامعةٌ بين النعم الحسيّة والنعم المعنويّة.

---

(١) انظر: نظم الدرر للبقاعي ج٧ص٤٠٨؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٢٩٦.

اللطيفة الثالثة:

وإنّ في تكرار قوله (سلاماً سلاماً) إفادة للتعاقب، أي سلاماً إثر سلام، وهو مؤذن بكرامتهم وأنّهم معظّمون ومبجّلون[١]، وإن كان يراد بالآية السلام بينهم فهو يدلّ على فشوّ السلام بينهم[٢]. وبهذه اللطائف يتمّ الحديث عن هذا الفصل بتأمّلاته ولله الحمد والمنّة.

****

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٧ص٢٩٧.

(٢) انظر: تفسير البيضاوي ج٥ص١١٣.

الفصل الثالث

"تأمّلات في ذكر نعيم أصحاب اليمين ووصفهم"

قال الله تعالى ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾[1].

تقديم:

وبعد أن ذكر الله تعالى بعض ما أعده من النعيم لعباده السابقين المقربين والدال على عظم شأنهم وعلو منزلتهم عنده سبحانه شرع في بيان بعض ما أعده لعباده المؤمنين الذين يتلونهم في المنزلة والمقام وهم أصحاب الميمنة وهو عود إلى نشر ما وقع لفه في قوله تعالى ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ...﴾ الآيات.

- هذا وقد وصفهم الله- هنا- بأصحاب اليمين بعد أن وصفهم هناك بأصحاب الميمنة مع اتحاد الوصفين في المعنى؛ وذلك للتفنّن والتنويع في الكلام وهو من أساليب الفصاحة والبلاغة[2].

- وإنه ليعود الكلام بنفس الطريقة الاستفهامية التي ذكروا بها سابقا

---

(١) سورة الواقعة: الآيات من (٢٧) إلى (٤٠).

(٢) انظر:التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٧ص٢٩٨.

إذ قال عزوجل ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾؛ وتكرار هذا الأسلوب لتأكيد فضلهم وتفخيم شأنهم وتعظيم منزلتهم وما يصيرون إليه من النعيم، وإن كانوا دون السابقين المقربين[١]. كيف وهم في محل كرامة الله وعفوه ورضاه. وأحب أن أشير- ههنا- إلى أن أصحاب اليمين منهم من أذنبوا فتابوا وتاب الله عليهم، ومنهم من لم يُلحِقوا ذنوبهم بتوبة فإن شاء الله عفا عنهم وإن شاء عذبهم فيطهرهم من ذنوبهم ثم يلحقوا بغيرهم من المؤمنين. في جنات عدن، فحال كونهم أنهم مذنبون لايخرجهم عن وصف أصحاب اليمين[٢]. أسأل الله تعالى أن يعمنا جميعاً بفضله وكرمه في الدنيا والآخره. آمين.

المبحث الأول: في ذكر أصناف النعيم لأصحاب اليمين.

مطلب: في الابتداء بقوله تعالى ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾[٣]

بعد الخبر عن أصحاب اليمين بقوله سبحانه ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ الذي يثير باستفهامه إبهاماً يفيد التنويه بالمستفهم عنه كما ذكرت آنفاً؛

---

(١) انظر: تفسير الطبري ج٢٧ص١٠٣؛ نظم الدرر للبقاعي ج٧ص٤٠٨؛ حاشية الجمل على الجلالين ج٤ص٢٧٤؛ روح البيان للبرسوي ج٩ ص٣٢٤؛ تفسير المراغي ج٢٧ص١٣٨؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٧ص٢٩٨.

(٢) انظر: تفسير الهواري ج٤ص٢٧٧؛ تفسير ابن كثير ج٤ص٢٨٨؛ تفسير الثعالبي ج٤ص٢٥٢.

(٣) سورة الواقعة: الآية (٢٨).

أتبع هذا الإبهام بما يبيِّن بعضه[١] بقوله تعالى ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ... ﴾الآيات.

وبدأ الكلام بـ (في) الدالة على الظرفية للمبالغة في تمكّنهم من التنعّم والانتفاع بما يذكر من النعيم[٢].

وفي الظرفية - أيضاً- إشارة إلى كثرة ما يذكره بأن جعله ظرفهم[٣].

- ولعلّ ذكره- تعالى- ابتداء لنعيمهم بالفاكهة للإيماء بأنّ عيش الجنة كلّه تفكّه وتلذّذ[٤]. كما أنّه ذكر أول ما ذكر منها ما ينبت في بلاد العرب من غير كلفة بغرس ولا خدمة، وهو شجر السدر وثمره يدعى النَّبق، ووصفه بوصف يدلّ على كمال محاسنه بانتفاء ما كان فيه بالدينا من سبب للأذى وهو شوكه إذ قال سبحانه (و سدر مخضود) أي قد خضد شوكه أي أزيل وقطع، فهو سدر ثمره كثير ولا شوك له بخلاف سدر الدنيا شوكه كثير وثمره قليل وهذا هو موضع الامتنان في ذكر السِّدْر[٥].

- وفي ذكر هذا الوصف تنبيه على أنّ ما في الجنة من مخلوقات كانت في الدنيا وبها نوع أذى للمنتفع بها فهي في الجنّة بلا أذى البتة لأنّ الجنة

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ج٤ص٢٨٨؛ تفسير أبي السعود ج٨ص١٩٢؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٧ص٢٩٨.

(٢) انظر: تفسير الآلوسي ج٢٧ص١٤٠.

(٣) انظر: نظم الدرر ج٧ص٤٠٨.

(٤) انظر:المرجع السابق ج٧ص٤٠٨.

(٥) انظر: تفسير البغوي ج٤ص٢٨٢؛ تفسير القرطبي ج١٧ص٢٠٧؛ زاد المسير لابن الجوزي ج٨ص١٣٩؛ تفسير ابن كثير ج٤ص٢٨٨، نظم الدرر ج٧ص٤٠٨-٤٠٩؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٢٩٨. وسمي سدر لكونه متدلي الأغصان من شدة حمله، من سدر الشعر إذا سدله.(لسان العرب لابن منظور ج٤ص٣٥٥).

إنّما خلقت للنعيم وحسب. الله أعلم.

مطلب: في قوله تعالى ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾[١]

ولـمّا ذكر سبحانه ما يطلع من الشجر في الجبال والأماكن المعطّشة والرِّمال أتبعه بما لايطلع إلا على المياه الوفيرة فقال: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾. وأكثر المفسرين على أنّ المراد به شجر الموز، وهو منضود أي منظوم مرصوص بالحمل من أعلاه إلى أسفله متراكم يتركّب بعضه على ترتيب وتنسيق هو في غاية الإعجاب والجمال، فسبحان من خلقه وأوجده على هذه الهيئة البديعة[٢].

- ووجه الامتنان به طِيب ثمره ولذّته وحسن منظر شجره، وإذ لم يكن شائعاً في بلاد العرب لاحتياجه إلى كثرة الماء وهو محبوب لديهم فأخبروا بأنّه من نعيمهم في الجنّة[٣]. والله أعلم.

مطلب: في قوله تعالى ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾[٤]

ولـمّا كانت بلاد العرب تغلب عليها حرارة الشمس ولهيبها؛ ويقلّ فيها ظلّها ناسب أن يذكر الله تعالى أنّ من نعيم أصحاب اليمين الظلّ الممدود أي الظل الدائم الباقي الذي لايزول ولا يتقلّص ولا تنسخه

---

(١) سورة الواقعة: الآية (٢٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري ج٢٧ص١٠٤؛ تفسير البغوي ج٤ص٢٨٢؛ تفسير القرطبي ج١٧ص٢٠٨-٢٠٩؛ نظم الدرر للبقاعي ج٧ص٤٠٩؛ معاني القرآن للفراء ج٣ص١٢٤؛ فتح القدير للشوكاني ج٥ص١٥٢.

(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٧ص٢٩٩.

(٤) سورة الواقعة: الآية (٣٠).

الشمس. والعرب تقول للشيء الذي لاينقطع ممدود. هذا والجنة كلّها ظلّ لا شمس معه، وهو ظلٌّ حاصل من التفاف أشجارها وكثرة أوراقها[١]، فقد روي في الصحيحين عن أبي هريرة[٢] رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: (إنّ في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلّها مائة سنة لا يقطعها واقرأوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ ولقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس[٣].

- ولقد أخبرنا الله تعالى عن دوام هذا الظلّ- أيضاً- في آيات أخر من كتابه الكريم منها قوله عزّوجلّ في سورة الرّعد: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ الآية[٤].

---

(١) انظر: تفسير البغوي ج٤ص٢٨٢؛ تفسير الهوّاري ج٤ص٢٧٧؛ تفسير ابن كثير ج٤ص٢٨٩؛ تفسير القرطبي ج١٧ص٢٠٩؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٧ص٢٩٩.

(٢) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي (٢١ق هـ-٥٩هـ): أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له، نشأ يتيماً ضعيفاً في الجاهلية، وقدم إلى المدينة ورسول الله ﷺ بخيبر، فأسلم سنة ٧هـ، ولزم النبي ﷺ فروى عنه (٥٣٧٤) حديثاً، نقلها عنه أكثر من ثمانمائة رجل بين صحابي وتابعي، ولي إمرة المدينة مدة، واستعمله عمر رضي الله عنه فترة على البحرين، وكان أكثر مقامه في المدينة وتوفي بها. (انظر: صفة الصفوة لابن الجوزي ج١ص٦٨٥-٦٩٤؛ الإصابة في الكنى ج٤ ص٢٠١-٢٠٨؛ أسد الغابة ج٥ص٣١٨-٣٢١؛ الأعلام للزركلي ج٣ص٣٤).

(٣) أخرجه البخاي في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنّها مخلوقة، حديث (٦٢) ج٤ص٢٤٤، وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، حديث (٦) ج٥ص٦٨٩ (طبعة الشعب).

(٤) سورة الرعد: الآية (٣٥).

ومنها في سورة يس بقوله تعالى ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾[١]، ومنها في سورة المرسلات أيضاً قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾[٢]، ومنها كذلك في سورة النساء وبصيغة التأكيد بقوله سبحانه ﴿...لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾[٣] يقول ابن عاشور[٤] في تفسيره: " هو من تمام محاسن الجنات لأن الظلّ إنّما يكون مع الشمس، وذلك جمال الجنّات ولذّة التنعّم برؤية النور مع انتفاء حرّه، ووصفه بالظليل وصفاً مشتقاً من اسم الموصوف للدلالة على بلوغه الغاية في جنسه"[٥].

مطلب: في قوله تعالى ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾[٦].

من المعلوم- كما أشرت آنفاً- أنّ العرب أكثرهم أهل بادية وبلاد حارة؛ وكانت الأنهار عندهم عزيزة ونادرة، ولا يصلون إلى الماء إلا

---

(١) سورة يس: الآيتان (٥٥-٥٦).

(٢) سورة المرسلات: الآية (٤١).

(٣) سورة النساء: الآية (٥٧).

(٤) هو محمد الطاهر بن عاشور (١٢٩٧-١٣٩٣هـ): رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها. عين عام (١٩٣٢م) شيخا للإسلام مالكيا، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مؤلفات أشهرها: مقاصد الشريعة- التحرير والتنوير- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام. (انظر: الأعلام للزركلي ج٦ص١٧٤).

(٥) التحرير والتنوير ج٥ص٩٠.

(٦) سورة الواقعة: الآية(٣١).

بالدلْو والرِّشاء؛ فلما كان الحال كذلك ناسب أن الله تعالى يعدهم في جنته بخلاف ذلك وهم يتطلعون إليه ويتمنونه في حياتهم لِما له من أسباب الخير لهم ولأرضهم وبلادهم؛ فبشرهم سبحانه به في جنته فقال: ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾[1].

- ومن أجل ذلك كثر في القرآن الكريم ذكر الأنهار والعيون الجارية فيما أعده الله تعالى من النعيم في جناته، بل غالباً ما يرتبط ذكر الجنة بما تجري تحتها من الأنهار ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾.

هذا وقد جاء ذكر الأنهار في وصف الجنة في اثنين وأربعين موضعاً، وجاء ذكر العيون في عشرة مواضع من كتاب الله تعالى، وفي هذا دلالة على ما ذكرته من المناسبة. والله أعلم بمراده.

مطلب: في قوله تعالى ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[2].

- ولـمّا ذكر سبحانه وتعالى فيما تقدّم صنفين من الفاكهة- النَّبق والموز- عمّم بقوله ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ ووصفها ابتداء بأنّها ليست بالقليلة أو العزيزة كما هي في بلاد العرب؛ بل هي كثيرة متعدّدة الأصناف والأجناس. ولما أنّها قد تنقطع عندهم ثم بسبب اختلاف أوقات جنيها

---

(١) أي ماء جار لاينقطع، وأصل السكب الصب بكثرة، وأطلق هنا على جريه بقوة، فينسكب لهم كيف يحبون بغير حد ولاخد وبدون تعب ولا جهد. (انظر: تفسير القرطبي ج١٧ص٢٠٩؛ معاني القرآن للزجاج ج٥ص١١٢؛ نظم الدرر ج٧ص٤٠٩؛ تفسير النسفي ج٤ص٢١٦؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٠٠؛ تفسير البرسوي ج٩ص٣٢٥؛ فتح القدير ج٥ص١٥٢؛ أضواء البيان ج٧ص٧٧٤).

(٢) سورة الواقعة: الآيتان(٣٢-٣٣).

كانقطاع فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، ولما أنّها قد تمتنع ويعز التوصّل إليها بسبب من أسباب المنع كصعوبة قطفها ونيلها لبُعدها وعلوّ أشجارها، أو لحظر أصحابها بجدرهم وحوائطهم، أو غير ذلك من الأسباب؛ فإنّه قال سبحانه واصفاً لها بعد كثرتها ومبيناً أن أمر الجنة ونعيمها بخلاف حال الدنيا ولذائذها المقطوعة والمنغصّة: ﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾[1] فهي في متناول أيديهم، وإذا اشتهوها فإنّها تدنوا منهم حتى يأخذوها قال تعالى ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾[2].

■ لطائف:

اللطيفة الأولى: لقد ذكرت الفاكهة من بين نعيم أهل الجنة في ثلاثة عشر موضعاً من كتاب الله الكريم؛ ولم يذكر اللحم إلا في موضعين، وذلك يدلّ بوضوح إلى ما أشرت إليه سابقاً من سبب أنّ الفاكهة مقدّمة في الرغبة والطلب عند أهل الجنة لكونهم في حال شبع دائم وإنّما أكلهم للتلذّذ والتفكّه لا عن جوع وحاجة ولذلك كان الامتنان بالفاكهة وأصنافها أكثر ذكراً من اللحم. والله أعلم بمراده.

اللطيفة الثانية: اللام في قوله ﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾للنفي،

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ج٤ص٢٩٠؛ تفسير القرطبي ج١٧ص٢١٠؛ نظم الدرر للبقاعي ج٧ص٤٠٩؛ تفسير القاسمي ج١٦ص١١؛ حاشية الصاوي ج٤ص١٠٦.

(٢) سورة الإنسان: الآية (١٤).

ولذلك لزم تكرارها[١].

اللطيفة الثالثة: وإنّ الوصف ههنا بقوله ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ وصف بانتفاء ضدّ المطلوب؛ إذ المطلوب أنّها تكون دائمة مبذولة لهم، فالنفي هنا أوقع من الإثبات لأنّه بمنزلة وصف وتوكيده، وإذ هم لا يصفون بالنفي إلا مع التكرير بالعطف[٢].

اللطيفة الرابعة: قال الفخر الرازي في تفسيره الكبير: "قدّم نفي كونها مقطوعة لِما أنّ القطع للموجود والمنع بعد الوجود لأنّها توجد أولاً ثم تُمنع، فإن لم تكن موجودة لا تكون ممنوعة محفوظة"[٣].

واللطيفة الخامسة: جمع بين الوصفين في فاكهة الجنة- ههنا- لأنّ فاكهة الدنيا لاتخلو من أحد ضدّي هذين الوصفين؛ فإن لم تمتنع بشكل من أشكال المنع فإنّ لها إبّاناً ووقتاً تنقطع فيه، والمقصود مباينة فاكهة الجنة لفاكهة الدنيا[٤]. والله أعلم بمراه.

مطلب: في قوله تعالى ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾[٥].

وبعد ذكره- عزوجل- لما أنعم به على أهل الجنة من الفاكهة ناسب أن يذكر الفرش؛ لأن التفكه لا يكمل الالتذاذ به إلا مع الراحة[٦] فقال:

---

(١) حاشية الجمل على الجلالين ج٤ص٢٧٤.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور: ج٢٧ص٣٠٠.

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج٢٩ص١٦٥.

(٤) انظر: التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٠٠.

(٥) سورة الواقعة: الآية (٣٤).

(٦) انظر: نظم الدرر للبقاعي ج٧ص٤٠٩.

﴿ وَفُرُشٍ[1] مَّرْفُوعَةٍ ﴾ ووصفها بأنها مرفوعة يحتمل أمرين حسي ومعنوي، أما الحسي فهي مرفوعة مكاناً لكونها على سرر مرفوعة، أو لكونها مرفوعة على الأسرة وليست مفروشة على الأرض، أو لعل وصفها ذاتي لها بسبب ما بها من كثرة الحشو أو لتراكم بعضها على بعض. وأما المعنوي فالمراد أنها رفيعة القدر لجعلها مستقراً ومحلاً لأهل الجنة[2]. والله أعلم بمراده.

مطلب: في قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾[3].

ولـمّا ذكر الحق- تبارك وتعالى- الفرش أتبعه بوصف النساء اللاتي يضاجعن فيها، فاكتفى بذكر الفرش عن ذكرهن لأنها محلّهن؛ وعاد الضمير في قوله (أنشأناهن) على غير مذكور دل عليه السياق وهو ملحوظ في الأفهام. وهو كقول أبي تمام في مطلع قصيدة له: هن عوادي يوسف وصواحبه.

ومن هذا الباب أيضاً قوله سبحانه ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ

---

(١) الفرش جمع فراش، بكسر الفاء، وهو ما يفرش أي ما يبسط للجلوس والنوم. (انظر: زاد المسير لابن الجوزي ج٨ص١٤١؛ مختار الصحاح للرازي ص٤٩٧؛ تفسير البرسوي ٩ص٣٢٥).

(٢) انظر: تفسير البغوي ج٤ص٢٨٣؛ تفسير البحر المحيط ج٨ص٢٠٧؛ تفسير ابن كثير ج٤ص٢٩٠؛ نظم الدرر للبقاعي ج٧ص٤٠٩؛ تفسير البرسوي ج٩ص٣٢٥؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٧ص٣٠٠.

(٣) سورة الواقعة: الآيات (٣٥-٣٨).

ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾[1]

فقوله: ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾ يعود الضمير في (توارت) على غير مذكور وهي الشمس على المشهور من أقوال المفسرين، وقد دل عليه السياق[2]. ثم إنّه يدلّ على هذا المعنى قوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[3] ثم قال سبحانه بعد ذكر الفرش: ﴿ فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾[4] فكان ذكر الفرش مناسباً للانتقال إلى ذكر الأوانس في تلك الفرش.

هذا وإنّ الله- تعالى- يبيّن في هذه الآيات الكريمات أنّ من عظيم نعيمه على أهل جنّته- أصحاب اليمين- ما يكون من النساء اللاتي أنشأهنّ إنشاءً بديعاً ليستمتعوا بهنّ.

والصواب- والله أعلم- أن الإنشاء يشمل ويعمّ كلاً من الحور العين اللاتي خلقن ابتداء لأهل الجنة، ويشمل كذلك المؤمنات في الدنيا بأن أعادهن- سبحانه- على أجمل ما يكون من الهيئة والصفات؛ وذلك أنّ الإنشاء معناه الخلق والإيجاد، وبالتالي فيشمل إعادة ما كان موجوداً

---

(١) سورة ص:الآيتان(٣١-٣٢).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ج٤ص٢٩١؛ زاد المسير لابن الجوزي ج٨ص١٤١؛ تفسير البرسوي ج٩ص٣٢٥؛ تفسير القاسمي ج١٦ص١٢؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٠٠-٣٠١.

(٣) سورة الرحمن: الآيتان (٥٤-٥٥).

(٤) سورة الرحمن: الآية (٥٦).

وعُدِم؛ وقد سمى الله تعالى الإعادة إنشاء في قوله ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ﴾[١] وقوله أيضاً: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾[٢]، فيدخل بذلك نساء المؤمنين اللاتي كنّ أزواجاً في الدنيا لمن صاروا إلى الجنة.[٣]

- وفسّر الله- عزّوجلّ- هذا الإنشاء البديع بقوله ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا[٤] ﴿٣٦﴾ عُرُبًا[٥] أَتْرَابًا[٦]﴾ أي جعلهن سبحانه عذارى متحبّبات لأزواجهنّ وفي سنّ واحدة. ولا ريب أنّ هذه الصفات التي أنشئن عليها هي غاية ما

---

(١) سورة العنكبوت: الآية (٢٠).

(٢) سورة النجم: الآية (٤٧).

(٣) انظر: تفسير البغوي ج٤ص٢٨٣؛ تفسير ابن كثير ج٤ص٢٩١؛ زاد المسير لابن الجوزي ج٨ص١٤٢؛ تفسير القاسمي ج١٦ص١٢؛ التحرير التنوير ج٢٧ص٣٠١.

(٤) أبكاراً: جمع بِكر. والمصدر البَكارة بالفتح، قال الراغب الأصفهاني: التبكرة أوّل النهار، وتصوّر منها معنى التعجّل لتقدّمها على سائر أوقات النهار؛ فقيل الكلّ متعجّل في أمر بكر. وسميت التي لم تفتضّ بكراً اعتباراً بالثيب لتقدّمها عليها فيما يراد له النساء. (انظر: المفردات للراغب الأصفهاني ص٥٨).

(٥) قرأحمزة وأبوبكر عن عاصم وخلف (عُرْباً) بسكون الراء وهي لغة تميم، وقرأ الباقون(عُرُباً) (انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج٢ص٣٨٣؛ الغاية في القراءات العشر للنيسابوري ص٢٧٠؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٠٢). والعُرُب جمع عَرُوب بفتح العين، وهي المتحببة إلى زوجها بحسن كلامها وحسن تبعّلها، واشتقاقه من أعرب إذا بيّن، فالعَرُوب تبين محبته لزوجها. (انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٧ص٢١١).

(٦) أتراباً: يعني في سنّ واحدة، وأطلق هذا اللفظ تشبيهاً في التساوي والتماثل بالترائب التي هي ضلوع الصدر، وقيل: لوقوعهن معاً على الأرض، وقيل: لأنّهنّ في حال الصبا يلعبن بالتراب. ويقال للنساء أتراب وللرجال أقران. (انظر: المفردات للراغب ص٧٤، التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٠٢؛ مختار الصحاح ص٧٦).

يُطلبُ من الرجال في النساء؛ فلذلك جُعلن عليها ليكمل لأزواجهنّ الاستمتاع بهنّ فضلاً من الله ونعمه.

- ذلك وقد أعيد ذكر أصحاب اليمين بعد ذكر هذه الصفات فقال سبحانه ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾؛ وإنّما أعيد ذكرهم لتأكيد الاعتناء بهم والتنبيه إلى استحقاقهم لهذا الكرم الإلهيّ والفضل الرباني فهم أهل لهذا النعيم؛ وليُبنى عليه الوصف بعد بقوله ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾[1]. والأظهر أنّ قوله تعالى ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾[2] متعلّق بقوله: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً... ﴾ وتقديره: أنشأناهنّ لأصحاب اليمن. وهذا القول هو اختيار ابن جرير الطبري[3] رحمه الله تعالى.

■ لطيفتان:

- **الأولى:** يُلاحظ أنّه لم يقل سبحانه، ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ كما قاله في حقّ السابقين عند ذكر نعيمهم؛ وذلك- والله أعلم- إشارة إلى أنّ

---

(١) انظر: تفسير المراغي ج٢٧ص١٣٩؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٠٢-٣٠٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري ج٢٧ص١٠٩؛ الكشاف للزمخشري ج٤ص٥٩؛ تفسير ابن كثير ج٤ص٢٩٣؛ تفسير أبي السعود ج٨ص١٩٤؛ تفسير البيضاوي ج٥ص١١٣؛ فتح القدير للشوكاني ج٥ص١٥٢؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٠٢؛ أضواء البيان ج٧ص٧٧٦.

(٣) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر (٢٢٤-٣١٠هـ): المؤرخ المفسر الإمام، ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها، عرض عليه القضاء فامتنع والمظالم فأبى، من أشهر مؤلفاته: أخبار الرسل والملوك (تاريخ الطبري) جامع البيان في تفسير القرآن- اختلاف الفقهاء. (انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ج٢ص٣٥١؛ البداية والنهاية لابن كثير ج١١ص١٥٦-١٥٧؛ لسان الميزان لابن حجر ج٥ص١٠٠-١٠٣؛ سير أعلام النبلاء ج١٤ص٢٦٧-٢٨٢؛ الأعلام للزركلي ج٦ص٦٩).

عملهم لقصوره عن عمل السابقين لم يعتبر اعتباره؛ وإنْ كان ما نالوه من الجزاء ثواباً على أعمالهم، وفيه بهذا- أيضاً- دلاله على تفاوت المقامين[١].

- **الثانية:** ينبغي أن يعلم- ههنا- أنّ ما ذكر من أصناف النعيم لأصحاب اليمين ليس مخالفاً لِما ذكر للسابقين؛ ولا أن ما ذكر للسابقين مخالف لما ذكر لأصحاب اليمين؛ وقد ذُكر في آيات أخر من أصناف النعيم لم يذكر لهم هنا؛ فليس المقصود بهذا هو توزيع النعيم أو قصره على فئة دون فئة؛ ولكن المقصود هو تعداده وتنويعه والتشويق إليه، مع العلم بأنّ السابقين أعلى مقاماً من أصحاب اليمين بمقتضى سياق الآيات الكريم[٢].

المبحث الثاني: في وصف أصحاب اليمين بقوله تعالى ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[٣].

وبعد أن ذكر الله -تعالى- ما ذكر من أصناف النعيم لأصحاب اليمين وصفهم بأنهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾؛ وذلك إكمالاً لبيان حالهم وشأنهم كما بيّن ذلك في حقّ السابقين إذ قال

---

(١) انظر: تفسير الآلوسي ج٢٧ص١٤٣؛ تفسير المراغي ج٢٧ص١٣٩؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٠٣.

(٢) انظر: التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٠٣.

(٣) سورة الواقعة: الآيتان (٣٩-٤٠) والراجح كسابقه أنّ المراد بالأولين الأمم الماضية والآخرين أمّة نبينا وسيدنا محمد ﷺ (انظر: تفسير الطبري ج٢٧ص١٠٩؛ تفسير القرطبي ج١٧ص٢١٢؛ زاد المسير لابن الجوزي ج٨ ص ١٢٣).

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾.

- وفي هذا الوصف دلالة على الكثرة لأصحاب اليمين لوفرتهم في أواخرهم دون السابقين[١].

- ولكن مما يجدر ملاحظته أنّه- تعالى- قد أخّر هذا الوصف إلى ما بعد ذِكر ما لهم من النعيم ولم يقدّمه كما هو في شأن السابقين؛ ولعلّ في هذا إشعاراً بأنّ عزّة هذا الصنف وقلّته دون عزّة صنف السابقين، وهذه الدلالة هي من مستتبعات التراكيب المستفادة من ترتيب نظم الكلام[٢].

وبهذا المبحث يتمّ الحديث عن هذا الفصل بتأمّلاته ولله الحمد والمنّة.

****

(١) محاسن التأويل للقاسمي ج١٦ص١٢.

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٧ص٣٠٣.

الفصل الرابع

"تأمّلات في ذكر جزاء أصحاب الشمال وسببه"

قال الله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾[1].

تقديم:

يعود الكلام في هذه الآيات الكريمات إلى تفصيل أحوال أصحاب المشأمة التي أشير إلى هولها وفظاعتها عند تقسيم الأزواج الثلاثة في مطلع السورة، وذلك بعد تفصيل حسن أحوال أصحاب الميمنة.

هذا ولقد عبر عنهم- ههنا- بأصحاب الشمال عوضا عن أصحاب المشأمة في أول السورة؛ ولعل في اختلاف التعبير جمعا لما يشير إليه اللفظان ابتداء من كونهم أصحاب شؤم وسوء وكونهم يؤتون كتب أعمالهم بالشمال أو يؤخذ بهم ذات الشمال إلى جهنم بعد موقف الحساب. والله أعلم بمراده.

---

(١) سورة الواقعة: الآيات من (٤١) إلى (٥٦).

وبذات الأسلوب الاستفهامي الدال على التعجب من حالهم الرهيب الذي يصيرون إليه ومما أعد الله تعالى لهم من سوء العذاب في النار ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴾؟! وبما يلي من التفصيل يتم الحديث عن مصائر الأزواج الثلاثة.

وإنه ليلاحظ أن ذكر حال أصحاب الشمال وجزائهم قد جاء في هذا الموضع من السورة على قسمين ورد بينهما سبب مصيرهم هذا الذي آلوا إليه ولذلك فإني سأتناول كلا القسمين في الحديث عن جزاءهم -ههنا- ومن بعد ذلك أخص بالذكر أسباب هذا الجزاء. والله أسأل التوفيق والسداد.

المبحث الأول: في ذكر جزاء أصحاب الشمال.

مطلب: في القسم الأول وهو ما جاء في قوله تعالى ﴿ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾[1].

- يخبر الحق سبحانه عن أصحاب الشمال بما أعد لهم من سوء العقاب أنهم في سموم وحميم وظل من يحموم[2]، والإتيان بحرف الجر(في)

---

(١) سورة الواقعة: الآيات من (٤٢) إلى (٤٤).

(٢) السموم هي الريح الشديدة الحرارة الجافة التي لا بلل معها. واختلف في سبب تسميتها فقيل: لأنها تنفذ في مسام البدن إلى أعماقه، وقيل: لأنها تؤثر تأثير السم في البدن إذا لاقاه بهلاكه. والحميم هو الماء المتناهي في السخونة والغليان، يطلبونه عند اشتعال السموم في أبدانهم فيزيد عطشهم فيسقون منه فتتقطع عند ذلك أمعاؤهم. وظل من يحموم: أي من دخان شديد السواد، والعرب تقول لكلّ شيء وصفته بشدة السواد أسود يحموم. (انظر: تفسير=

الدال على الظرفية للإشارة إلى تمكن ذلك العذاب منهم وأنهم مستقرون فيه وتحت تأثيره الأليم الشديد، فبئس المستقر والمقيل.

■ لطائف:

- اللطيفة الأولى:

يُلاحظ- في هذا المقام- ذكر السموم الحميم دون ذكر النار وأهوالها، ولعلّ وجه الحكمة في ذلك ما فيه من الإشارة بالأدنى إلى الأعلى، فإنّه إذا كان هواؤهم الذي يهبّ عليهم سموم وماؤهم الذي يستغيثون به حميم؛ فكيف بعذاب النار ذاتها[1]؟! والعياذ بالله.

- اللطيفة الثانية:

يجيء ذكر ظلّ أصحاب الشمال لمقابلته بالظلّ الممدود لأصحاب اليمين، ولقد وصف بثلاثة أوصاف تشير إلى التهكّم والسخرية بهم؛ فهو ظلّ ولكنّه حار ضارّ لا رَوْح فيه ولا نفع، وأوّل تلكم الأوصاف أنّه من يحموم، فهو ظل دخان لهب جهنّم. وثاني الأوصاف وثالثها تجيء بأسلوب النفي ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾، والنفي في نحو هذا له شأن خاص لا يحقّقه الإثبات؛ إذ فيه تحقيق ومزيد للتهكّم بأصحاب الشمال وأنهم لا

=الطبري ج٢٧ص١١٠؛ تفسيرالكشاف للزمخشري ج٤ص٥٩؛ تفسير ابن كثير ج٤ص٢٩٤، تفسير الثعالبي ج٤ص٢٥٤؛ تفسير أبي السعود ج٨ص١٩٤؛ تفسير الخازن ج٧ص٢١؛ حاشية الصاوي على الجلالين ج٤ص١٦٤؛ تفسير الآلوسي ج٢٧ ص١٤٣؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٧ص٣٠٤).

(١) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٩ص١٦٨.

يستأهلون الظلّ البارد الكريم الذي هو لأضدادهم في الجنة[١]. ويقول البقاعي في نظم دُرره: "لا بارد ليروح النفس ولا كريم ليؤنس به ويلجأ إليه ويرجى خيره ويعوّل في حال عليه بأن يفعل ما يفعله الواسع الخلق الصفوح من الإكرام بل هو مهين، سمّاه ظلاً لترتاح النفس إليه ثم نفى عنه نفع الظلّ وبركته لينضم حرقان: اليأس بعد الرجاء إلى إحراق اليحموم فتصير الغصّة غصتين"[٢].

- **اللطيفة الثالثة:**

لقد ورد وصف آخر غير ما ذكر في هذه السورة لظلّ أصحاب الشمال وذلك في سورة المرسلات حيث قال تعالى مخاطباً لهم: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ۝٣٠ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ﴾[٣] فالوصف الذي يضاف إلى تلك الأوصاف من هاتين الآيتين الكريمتين أنّه ظلٌّ ذو ثلاث شعب، ذلك أنّ لهب النار إذا ارتفع وصعد معه دخانه وهو الظلّ فإنّه من

---

(١) انظر: تفسير الطبري ج٢٧ص١١٠-١١١؛ الكشاف للزمخشري ج٤ص٥٩؛ تفسير الماوردي ج٤ص١٧٢؛ تفسير ابن كثير ج٤ص٢٩٤؛ تفسير أبي السعود ج٨ص١٩٤؛ تفسير الخازن ج٧ص٢٢؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٤٠٣. ويقول الطبري في قوله تعالى (ولا كريم) "وليس بكريم لأنّه مؤلم من استظلّ به، والعرب تتبع كلّ منفي عنه صفة حمد نفي الكرم عنه؛ فتقول: ما هذا الطعام بطيب ولا كريم، وما هذا اللحم بسمين ولا كريم وما هذه الدار بنظيفة ولا كريمة" [تفسير الطبري ج٢٧ص١١١].

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: ج٧ص٤١١.

(٣) سورة المرسلات الآيتان (٣٠-٣١).

شدّته وقوّته ينشعب ويفترق إلى ثلاث فرق. أمّا قوله تعالى ﴿لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ فمعناه لا يظلّ من الحرّ ولا يردّ عنهم حرّ لهب جهنم[1]؛ فهو يدخل في معنى الأوصاف السابقة. والله أعلم.

مطلب: في القسم الثاني من جزائهم. وهو ما جاء في قوله تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾[2] هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾[3].

- هذه صورة أخرى من صور جزاء أصحاب الشمال تجيء في معرض الرد عليهم في قضية إنكارهم للبعث إذ يقول سبحانه لنبيه محمد ﷺ ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ...﴾ الآيات[4]. فلجامع كون ما ورد في هذا الموضع من جزائهم قرنت بينهما في هذا المبحث.

- ولما أن بيان هذه الصورة من الجزاء جاء في معرض الرد عليهم في قضية عقدية مهمة فقد سبق هذا البيان أسلوب في غاية القوة والرهبة وهو المتمثل في قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾، ذلك أنه بعد

---

(١) انظر: تفسير البغوي ج٤ص٤٣٤؛ تفسير ابن كثير ج٤ص٢٦٠.

(٢) قرأ نافع وعاصم وحمزة وأبو جعفر (شرب) بضم الشين، وقرأ الباقون بفتح الشين. (انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج٢ص٣٨٣).

(٣) سورة الواقعة: الآيات من (٥١) إلى (٥٦).

(٤) سورة الواقعة: الآيات من (٤٩) إلى (٥٦).

ما عرض إجمالا بالوعيد في قوله ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ جيء بـ (ثم) الدالة على ترتب ما سيأتي بعدها من العذاب على ما قبلها من ذلك الجمع في يوم القيامة؛ مع ما في ندائهم بوصفي الضلال والتكذيب من الإيماء والتأنيب إلى أنهما سبب ما لحقهم من هذا الجزاء السيء الرهيب[١].

- كما يبدأ عرض هذه الصورة الفظيعة من العذاب بلام القسم والتأكيد لزيادة الرهبة ﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾.

- هذا وتبين هذه الآيات الكريمات حال أكلهم من شجر الزقوم، ذلكم شجر جهنم البالغ غاية الكراهة والبشاعة في المنظر ونتن الرائحة والأذى، وواحدتها هي الشجرة الملعونة في القرآن والتي وصفها عزوجل بقوله: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾[٢] وإنهم ليسوا آكلين منها فحسب بل إنهم ليملؤون منها بطونهم مع غاية قبحها وكراهتها وذلك لما يسلّط عليهم من الجوع والتهاب النار في أحشائهم ممّا يضطرهم إلى أكل الزّقوم الذي هو كالمهل الذي يقطع أمعاءهم[٣]. وعقب أكلهم للزقوم مباشرة يشربون عليه من الحميم دون فترة ولا استراحة ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾[٤]، وإنّهم ليزدادون

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٧ص٣٠٩.

(٢) سورة الصافات: الآيتان (٦٤-٦٥).

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ج٨ص١٩٦.

(٤) سورة الصافات: الآية (٦٧).

شرباً من هذا الحميم مع ما هو عليه من تناهي الحرارة كشرب الهيم إذ قال تعالى عنهم ﴿ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴾ والهيم هي الإبل العطاش التي أصابها داء الهُيام الذي يورثها حُمّى في أمعائها فلا تزال تشرب ولا تروى حتى تموت أو يزداد سقمها سوءاً[1].

- وبعد هذا البيان لهذه الصورة من العذاب الأليم يخبر تعالى أنّ هذا نزلهم يوم الجزاء الحساب فيقول سبحانه: ﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾، وفيه تهكّم بهم واحتقار لهم؛ لأن النُزُل هو ما يعدّ للضيف من الضيافة والرزق ليقدّم له عند نزوله إكراماً له.. أي فهذا العذاب المذكور من أكل الزقوم وشرب الحميم هو ضيافتهم ورزقهم المقدّم لهم عند نزولهم في دارهم التي هي النار، وبمثله قال تعالى ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴾[2]. وبهذا التهكّم يسدل الستار على هذه الصورة الفظيعة من العذاب لأصحاب الشمال والعياذ بالله تعالى.

---

(١) انظر: تفسير الطبري ج٢٧ص١١٣؛ تفسير الماوردي ج٤ص١٧٣؛ تفسير ابن كثير ج٤ص٢٩٥؛ البحر المحيط لأبي حيان ج٨ص٢٠٨؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٣١٠. ويقال أن الهيم هو الرّمل بمعنى أنّ أهل النار يشربون الحميم شرب الرمل الماء. (تفسير الطبري ج٢٧ص١١٣). وقيل إنما سميت الإبل العطاش بالهيم لأنها تهيم في الأرض لاتجد ماء فإذا وجدته فلا شيء أعظم منها شراباً. (تفسير الماوردي ج٤ص١٧٣). وقيل: شرب الهيم أن تمدّ الشرب مرة واحدة، فوصف شربهم الحميم بأنه كشرب الهيم لأنه أكثر شرباً فكان أزيد عذاباً (تفسير الماوردي ج٤ص١٧٣). وهذا في صفة الشرب لافي مسمّى الهيم.

(٢) انظر: تفسير البغوي ج٤ص٢٨٦؛ الكشاف للزمخشري ج٤ص٦٠؛ تفسير القرطبي ج١٧ص٢١٥؛ تفسير أبي لسعود ج٨ص١٩٦؛ تفسير القاسمي ج١٦ص١٤؛ تفسير السعدي ج٧ص٢٧٠؛ أضواء البيان ج٧ص٧٨٤؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٣١١. والآية بسورة الكهف رقم (١٠٢).

■ لطائف:

- اللطيفة الأولى:

في قوله تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ قدّم وصف (الضالون) على(المكذبون) مراعاة لترتيب الحصول؛ لأنّهم ضلّوا عن الحقّ فكذّبوا بالبعث؛ وليحذروا من الضلال ويتدبّروا في دلائل البعث، وذلك مقتضى خطابهم بهذا الإنذار بالعذاب المؤكّد الوقوع[1].

- اللطيفة الثانية:

إعادة فعل (شاربون) في قوله تعالى ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ للتأكيد وتكرير استحضار تلك الصورة الفظيعة؛ هذا مع إفادة تقرير التعجب من هذا الشرب، فإنّ كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة أمر عجيب، وشربهم له كما تشرب الإبل الهيم في الإكثار أمر عجيب أيضاً[2].

- اللطيفة الثالثة:

بالإضافة إلى ما ذكر من أسلوب التهكّم في قوله تعالى ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ فإنّ فيه إشارة إلى عظم ما يكون من العذاب وشدّته، لأنّه إذا كان ما ذكر من أنواع العذاب وهو نزلهم الذي أعدّ لهم عاجلاً إذا نزلوا وهو أمر مهول؛ فكيف بما يأتي بعده إذا استقر لهم القرار واطمأنت بهم الدار

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٧ص٣٠٩.

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري ج٤ص٦٠؛ حاشية الجمل على الجلالين ج٤ص٢٧٦؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٣١١.

في النار؛ فلا ريب أنه أعظم وأشدّ وأنكى؛ وهو مما لا يطيق البيان شرحه ووصفه[١].

- **اللطيفة الرابعة:**

إنّ في جعل يوم الدين وقتاً لنزلهم إيذاناً بأنّ ذلك الذي عُبِّر عنه بالنزل هو جزاء على أعمالهم، فهو نظير قوله تعالى آنفاً في شأن السابقين ﴿جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٢].

- **اللطيفة الخامسة:**

إنّ هذه الآيات القرآنية الكريمة التي تحمل صوراً من العذاب الأخروي تُشكّل مع أخواتها من الآيات في السور الأخرى أسلوباً من أساليب الدعوة القرآنية في ردّ الناس إلى الالتزام بدين الحقّ ومنهج الإسلام القويم في عقيدته وشريعته، وهو أسلوب الترهيب؛ إذ إنّ من الناس من لايرتدع إلا بالتخويف ولا يجدي معه أسلوب الترغيب الذي مرّ بنا في آيات السابقين وأصحاب اليمين، فلا ريب أن القرآن اهتمّ بهذا الأسلوب وسطّره في صحفه وبين آياته.

وبهذه اللطائف يتم الكلام حول هذا المبحث ولله الحمد المنة.

المبحث الثاني: في ذكر أسباب استحقاق هذا الجزاء.

يذكر الحقّ عزّوجلّ تعليل استحقاق أصحاب الشمال لما يلقونه من العذاب الذي وصفه في هذه الآيات الكريمة، هذا التعليل الذي تضمّن

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود ج٨ص١٩٦؛ محاسن التأويل للقاسمي ج١٦ص١٤.

(٢) انظر: التحرير والتنوير ج٢٧ص٣١٢.

أعظم أحوال كفرهم به سبحانه فكان له أكبر الأثر في إلحاق العذاب بهم. وهو ما جاء متوسطاً بين أصناف العذاب إذ قال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾[1].

وكما يتضح من الآيات فإنّها قد اشتملت على ثلاثة أحوال جعلت سبباً لاستحقاقهم العذاب (أحدها) الترف[2]. في العيش أي السعة فيه، وهذه الحال ليست سبباً مستقلاً في تسبّب الجزاء الذي عوملوا به، فإن التوسّع في العيش ليس جريمة في ذاته، وكم من مؤمن عاش في سعة من عيشه، وليس كلّ كافر مترفاً في عيشه، ولكنّما هو الترف الذي لايشكر صاحبه ربّه تعالى الذي أنعم عليه بالنعم فيطغى ويجحد نعمته بل يكفر بربه ويسعى في الأرض فساداً وبغياً؛ ويتبع هوى نفسه وشهواتها تاركاً هدى الله خلف ظهره لايعبأ بأمر ولا نهي فذلك هو المترف الذي استحق غضب الله وعذابه[3]. (وثانيها) الإصرار على الشرك بالله تعالى وهو ما جاء في قوله تعالى ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ فالحنث العظيم أي

---

(١) سورة الواقعة: الآيات من (٤٥) إلى (٤٨).

(٢) قال الراغب في مفرداته: الترفّة التوسّع في النعمة، يقال أترف فلان فهو مترَف. (المفردات: ص٧٤).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ج٤ص٢٩٤؛ نظم الدرر للبقاعي ج٧ص٤١٢؛ تفسير الآلوسي ج٢٧ص١٤٤؛ فتح القدير للشوكاني ج٥ص١٥٢؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٠٥؛ أضواء البيان ج٧ص٧٧٧-٧٧٨، حاشية الجمل على الجلالين ج٤ص٢٧٦.

الذنب العظيم[١]، وهو الشرك بالله تعالى[٢]، ويدلّ عليه قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٣]، فهم يقيمون عليه ولا يقبلون زحزحة عنه..

(وثالثها) إنكار البعث بعد الموت وهو ما جاء في قوله تعالى ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ فاستفهامهم الإنكاري يعنون به استحالة واستبعاد البعث بعد أن يموتوا ويصيروا تراباً وعظاماً نخرة[٤]، وهذا الإنكار للبعث هو في حقيقته تكذيب للرسول ﷺ فيما جاء به وأخبر عنه من أمر اليوم الآخر فهو خلل في عقيدتهم وأي خلل، إذ هو في ركن من أركان الإيمان بالله تعالى. وهكذا فهذه الثلاث هي علة استحقاقهم للعذاب في النار، وأحدها كما ذكرت آنفاً ليس سبباً مستقلاً وهو الترف، وإنّما ذكر لما تبعه من الكفر والطغيان والفساد. وأما الحالان الآخران فإن واحداً منهما يكفي في استحقاقهم العذاب ونزوله بهم.

---

(١) الحنث هو الإثم والذنب. ومنه يقال للغلام بلغ الحنث أي سن البلوغ الذي يؤاخذ فيه بالمعصية والإثم. (انظر: مختار الصحاح للرازي ص١٥٨؛ المفردات للراغب ص ١٣٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري ج٢٧ص١١١؛ تفسير ابن كثير ج٤ص٢٩٤؛ تفسير أبي السعود ج٨ص١٩٥؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٠٦.

(٣) سورة لقمان: الآية (١٣).

(٤) انظر: تفسير أبي السعود ج٨ص١٩٥؛ تفسير البيضاوي ج٥ص١١٤؛ فتح القدير للشوكاني ج٥ص١٥٣؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٠٧؛ أضواء البيان ج٧ص٧٧٩.

■ لطائف:

- اللطيفة الأولى:

يلاحظ أنّه ذكر في هذه الآيات الكريمة سبب استحقاق العقاب لكنه لم يذكر قبلها سبب استحقاق الثواب في شأن السابقين وأصحاب اليمين؛ وذلك لأنّ الثواب فضل من الله تعالى والعقاب عدل منه؛ والفضل سواء ذكر سببه أم لم يذكر فإنّه لا يتوهم في المتفضّل به نقص أو ظلم، أما العدل فإنّه لم يُعلم فيه سبب العقاب ويُذكر فلرّبما تُوهِّم الجور والظلم[١].

- اللطيفة الثانية:

أورد الآلوسي[٢] اعتراضاً حاصله أنّه قد يكون بعض أصحاب الشّمال غير مترفين فكيف يجعل ذلك تعليلاً لعذاب الكلّ. وهو اعتراض في محلّه ثم أجاب عنه وردّ عليه بقوله: "إنّ تعليل عذاب الكلّ بما ذكر في حيّز العلة لا يستدعي أن يكون كلّ من المذكورات موجوداً في كلّ في من أصحاب الشمال؛ بل وجود المجموع في المجموع؛ وهذا لا يضر فيه اختصاص البعض بالبعض"[٣].

---

(١) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٩ص١٧٠؛ تفسير الآلوسي ج٢٧ص١٤٣؛ حاشية الصاوي على الجلالين ج٤ص١٦٤.

(٢) هو محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء (١٢١٧-١٢٧٠هـ): مفسر ومحدث وأديب، من أهل بغداد، مولده ووفاته بها، تقلّد الإفتاء ببلده عام١٢٤٨هـ، وعُزِل فانقطع للعلم ثم سافر عام ١٢٦٢هـ إلى الموصل فالآستانة ومرّ بماردين وسيواس ثم عاد إلى بغداد إلى أن توفي بها. من أشهر كتبه: روح المعاني- المقامات ونسبته إلى جزيرة (آلوس) في وسط الفرات. (انظر: الأعلام للزركلي ج٧ص١٧٦).

(٣) روح المعاني للآلوسي ج٢٧ص١٤٤.

- **اللطيفة الثالثة:**

إن صيغة المضارع في (يصرّون) و (يقولون) تفيد تكرّر الإصرار والقول منهم، كما أنّ ذكر فعل (كانوا) وتكراره لإفادة أن ذلك ديدنهم[١]. ولا ريب أنّ الإصرار والعناد والاستمرار على المعتقدات الباطلة، بالإضافة إلى التقليد المقيت الأعمى دون النظر والتأمّل في أدلّة الحقّ وفتح باب الحوار مع أهله هي أسباب الضلال والاستقرار فيه ومن ثمّ استحقاق العذاب الدنيوي والأخروي. وإني في هذه الكلمات أدعو غير المسلمين أن يفتحوا آذانهم لسماع الحق وأدلّته وأن يتركوا لعقولهم وقلوبهم أن تنظر وتتأمّل دون إصرار وعناد وتقليد. والله الهادي إلى سواء السبيل.

واللطيفة الرابعة:

إن في تكرار الاستفهام وإعادته- في قوله تعالى ﴿ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾[٢] تأكيدا للإنكار والاستبعاد[٣].

---

(١) انظر: نظم الدرر للبقاعي ج٧ص٤١٢؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٠٧.

(٢) سورة الواقعة: الآيتان (٤٧-٤٨). وقرأ الجمهور (أوَ آباؤنا) بفتح الواو على أنها واو عطف عطفت استفهاماً على استفهام، وقدمت همزة الاستفهام على حرف العطف لصدارة الاستفهام. وقرأ أبو جعفر وابن عامر وقالون بإسكان الواو (أوْ آباؤنا) على أن (أو) هنا هي التي للإباحة في الإنكار، أي: أنكروا بعثهم وبعث آبائهم بعد الموت. (انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج٢ص٣٥٧-٣٨٣؛ الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب القيسي ج٢ص٢٢٣-٢٢٤؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٠٧).

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ج٨ص١٩٥؛ نظم الدرر للبقاعي ج٧ص٤١٢؛ التحرير ج٢٧ص٣٠٧.

وبهذه اللطائف يتم الحديث عن هذا الفصل بتأملاته. ولله الحمد والمنة.

****

الفصل الخامس

"تأمّلات في دلائل إثبات البعث"

تقديم:

لـمّا أخبر الله تبارك وتعالى في الآيات السابقة عن أسباب استحقاق أصحاب الشمال للعذاب وذكَر من بينها إنكارهم للبعث ثم أبطله بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ... ﴾الآيات.. بعد ذلك أعقبه تعالى بذكر دلائل من خلقه ورزقه تشير وتؤكّد إمكان هذا البعث الذي أنكروه تبكيتاً لهم وإلزاماً للحجة عليهم. وقد جاءت هذه الدلائل في أربعة أمور حملت في طيّاتها العديد من مظاهر قدرة الله تعالى وعظمته وإعجازه وهي على النحو التالي:

أولاً: في خلق الإنسان.

ثانياً: في إنبات الزرع.

ثالثاً: في إنزال الماء.

رابعاً: في خلق النار وإيجادها.

وسأبّين هذه الدلائل على مباحث مستقلة لكل واحدة منها. والله أسأل التوفيق والرشاد.

المبحث الأول: في خلق الإنسان

قال الله تعالى ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ

﴿تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾[1].

- يخاطب الله تعالى في هذه الآيات الكريمات المنكرين للبعث؛ ويبدأ معهم في إقامة الحجة والبرهان على إمكان البعث بتقريب كيفية الإعادة التي أحالوها فقال لهم مذكرا: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أي أول مرة بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا؛ وأنتم تعلمون ذلك، ثم فرع إلى هذا التذكير تحضيضهم على التصديق بالبعث فقال: ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾؛ ذلك لأن الذي قدر على البداءة هو قادر على الإعادة بطريق الأولى[2]، ومن خلق أولا لم يمتنع عليه أن يخلق ثانيا، بل إن ذلك أهون عليه كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾الآية[3].

- ومن زيادة تقرير هذا البرهان يستدلّ سبحانه عليهم بما هو أصل مادة خلقهم مما يشاهدونه ويعترفون بأن الله تعالى هو خالقه من بعدُ في الأرحام وجاعله بشراً وليس لهم فيه أدنى تصرّف أو قدرة فقال لهم

---

(١) سورة الواقعة: الآيات من (٥٧) إلى (٦٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري ج٢٧ص١١٣؛ الكشاف للزمخشري ج٤ص٦٠؛ تفسير ابن كثير ج٤ص٢٩٥؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٩ص١٧٥؛ زاد المسير لابن الجوزي ج٨ص١٤٦؛ تفسير أبي السعود ج٨ص١٩٦؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٣١٢-٣١٣؛ أضواء البيان ج٧ص٧٨٤؛ فتح القدير للشوكاني ج٥ص١٥٥.

(٣) سورة الروم: الآية (٢٧).

عزّوجلّ ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (١) ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾، ومراد هذا الاستدلال باستفهامه التقريري التي إجابته محتّمة بقولهم أنّ الله تعالى هو الخالق وحده فيقال لهم حينذ لك: إذا كنا خلقنا هذا الإنسان من تلك النطفة التي تمنى في الرّحم فكيف تكذّبون بقدرتنا على خلقه مرّة أخرى وأنتم تعلمون أن الإعادة لايمكن أن تكون أصعب من الابتداء[٢].

- وتأكيداً لهذا الاستدلال جيء باستدلال آخر عجيب يبّين عظم الحجّة الإلهية وقوّتها وإعجازها، ذلك هو الاستدلال بإماتة الأحياء إذ قال سبحانه: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا[٣] بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ وبيان هذا الاستدلال بأنّ الذي قدر على خلق الموت بعد الحياة قادر على الإحياء بعد الموت، إذ القدرة على حصول شيء تقتضي القدرة على ضدِّه، فلا جرم أنّ القادر على خلق حيّ مما ليس فيه حياة وعلى إماتته بعد الحياة قدير على التصرف في حالتي إحيائه وإماتته، وما الإحياء

---

(١) الفاء لتفريع ما بعد ها على جملة (نحن خلقناكم فلو لا تصدقون)، وهكذا في كلّ ما يأتي من قوله (أفرأيتم) في بداية كلّ استدلال من الاستدلالات الثلاث القادمة، ليكون الغرض من هذه الجمل متحداً وهو الاستدلال على إمكان البعث. (انظر: التحرير والتنوير ج٢٧ص٣١٩).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ج٤ص٢٩٥؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٩ص١٧٦؛ تفسير الخازن ج٧ص٢٢؛ فتح القدير للشوكاني ج٥ص١٥٥؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٣١٣؛ أضواء البيان ج٧ص٧٨٤-٧٨٥.

(٣) قرأ ابن كثير (قدرنا) بتخفيف الدال وقرأ الباقون بتشديدها وهما بمعنى واحد. (انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج٢ص٣٨٣؛ الحرير والتنوير ج٢٧ص٣١٦).

بعد الإماتة إلا حالة من تينك الحقيقتين. وهو مثل قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴾[1] وباختصار: إنّ الذي يقدر على الإماتة يقدر على الخلق، وإذا قدر على الخلق قدر على البعث سبحانه وتعالى[2]. ولذلك جاء التصريح بعد هذا الاستدلال بالقدرة على الخلق ثانياً بقوله ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾، وهو نتيجة هذا الاستدلال.

■ لطائف:

- اللطيفة الأولى:

أعيد حرف الاستفهام " الهمزة " في قوله تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ ليطابق البيان مُبّينه[3].

- اللطيفة الثانية:

في قوله تعالى ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ ﴾ أفاد الظرف (بين) في (بينكم) وآذن بأنّ الموت يأتي على الناس تداولاً وتناوباً، فلا يفلت واحدٌ منهم ولا يتعيّن لحلوله صنف ولا عمر، فهو كالشيء الموضوع للتوزيع لايدري أحد متى يصيبه قسطه منه، ولكن الجميع موقن بأنّه نائله لامحالة[4].

---

(١) سورة الحج: الآية (٦٦).

(٢) انظر: تفسير القرطبي ج١٧ص٢١٦؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٣١٥.

(٣) التحرير والتوير لابن عاشور ج٢٧ص٣١٤.

(٤) انظر: التحرير والتنوير ج٢٧ص٣١٥.

- **اللطيفة الثالثة:**

إنّ قوله تعالى ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يؤذن بأن الإعادة تكون عن عدم لا عن تفريق للأجسام؛ لأنّ المعنى نخلق ذوات مماثلة لذواتكم التي كانت في الدنيا ونودع فيها أرواحكم[١].

- **اللطيفة الرابعة:**

إنّ (ما) في قوله تعالى ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ تصدق على الكيفية أو الهيئة التي يكون بها الإنشاء، وهذا الإجمال المستفاد منها جامع لجميع الصور التي يفرضها الإمكان في بعث الأجساد لإيداع الأرواح[٢]. والله أعلم.

- **اللطيفة الخامسة:**

في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ جيء بالمضارع (تذكرون) للتنبيه على أنّ باب التذكر مفتوح فإن فاتهم فيما مضى فليتداركوه الآن[٣].

وبهذه اللطائف يتم الحديث حول هذا المبحث ولله الحمد والمنّة.

المبحث الثاني: في إنبات الزرع

قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ[٤] ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ

---

(١) انظر: التحرير والتنوير ج٢٧ص٣١٧.

(٢) انظر: المرجع السابق ج٢٧ص٣١٨.

(٣) انظر: المرجع السابق ج٢٧ص٣١٩.

(٤) الحرث: شقّ الأرض للزراعة وإثارتها وإلقاء البذر فيها. (انظر: تفسير ابن كثير ج٤ص٢٩٦؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٩ص١٨١؛ تفسير القاسمي ج١٦ص١٦).

ٱلزَّٰرِعُونَ [١] ﴿٦٤﴾ لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴾[٢].

- هذه الآيات الكريمة انتقال إلى دليل آخر على إمكان البعث وإثباته، وفيها يوجّه الله تعالى خطابه لأولئك المنكرين للبعث بالنظر إلى ما يقومون بحرث الأرض لأجله وهو الحبّ أهم ينبتونه ويصيّرونه زرعاً أم هو سبحانه، ولا ريب أنهم يقرّون أنه عزّوجلّ هو الذي ينبته ويصيرّه زرعاً، وبالتالي فمن أنبت هذا الزرع من هذا البذر الذي تعفّن في باطن الأرض هو قادر على أن يحييكم ويبعثكم من بعد موتكم من الأرض التي صرتم فيها عظاماً ورفاتاً وتكملة لهذا الدليل قال سبحانه: ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا[٣] فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ[٤] ﴿٦٥﴾ إِنَّا

---

(١) قال الراغب: الزرع الإنبات، وحقيقة ذلك تكون بالأمور الإلهية دون البشرية قال ﴿ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ فنسب الحرث إليهم ونفى عنهم الزرع ونسبه إلى نفسه، وإذا نسب إلى العبد فلكونه فاعلاً للأسباب التي هي سبب الزرع (المفردات ص٢١٢).

(٢) سورة الواقعة: الآيات من (٦٣) إلى (٦٧).

(٣) لجعلناه حطاماً أي: لأيبسناه قبل استوائه واستحصاده، وأصل الحطام: ما تحطّم وتكسّر وتفتّت لشدة يبسه. (انظر: تفسير ابن كثير ج٤ص٢٩٦؛ المفردات للراغب ص١٢٣؛ محاسن التأويل للقاسمي ج١٦ص١٦).

(٤) قال الطبري: وأولى الأقوال في معنى (تفكهون) أي أقمتم تعجبون ممانزل بزرعكم، وأصله من التفكه بالحديث إذا حدث الرجل الرجل بالحديث يعجب منه ويلهى به فكذلك ذلك، وكأنّ معنى الكلام فأنتم تتعجبون يعجب بعضكم بعضكم بعضاً مما نزل بكم. (تفسير الطبري ج٢٧ص١١٥)؛ وقال الكسائي: تفكّه من الأضداد تقول العرب تفكرت بمعنى تنّعمت وتفكّهت بمعنى حزنت. ومعناه هنا أي تحزنون وهو معنى سائغ أيضاً. (انظر: تفسير ابن كثير ج٤ص٢٩٦).

لَمُغْرَمُونَ (١) ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢) ﴾؛ فموقع ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا ﴾ كموقع قوله تعالى ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ في أنها استدلال بإفنائه- تعالى- لما أو جده على انفراده بالتصرف إيجادًا وإعداماً(٣).

- هذا وكون إنبات الزرع من براهين البعث فقد جاء في مواضع أخرى من كتاب الله تعالى منها قوله سبحانه ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٤)، ومنها أيضاً قوله تعالى ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٥). ومنها كذلك قوله عزوجل ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٦). وبهذه

---

(١) أولى الأقوال بالصواب في قولهم (إنا لمغرمون) أي لمعذّبون، وذلك لأن الغرام عند العرب العذاب وفي الكلام حذف والتقدير: فظلتم تفكهون تقولون إنا لمغرمون (انظر: تفسير الطبري ج٢٧ص١١٥).

(٢) أي محرومون من الثمار والزرع بعد هلاكه. (تفسير الطبري ج٢٧ص١١٥).

(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٧ص٣٢١؛ أضواء البيان ج٧ص٧٩٠.

(٤) سورة فصلت: الآية (٣٩).

(٥) سورة الروم: الآية (٥٠).

(٦) سورة الأعراف: الآية (٥٧).

الآيات الكريمات يتم توضيح الاستدلال بهذا الدليل في إمكان البعث ووقوعه. ولله الحمد والمنّة.

■ لطائف:

اللطيفة الأولى:

من مناسبة الانتقال من الاستدلال بخلق الإنسان إلى الاستدل بنبات الزرع ذلك التشابه البيّن بين تكوين الإنسان وتكوين النبات ويدلّ عليه قول الحق سبحانه ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾[1].

اللطيفة الثانية:

في هذا الاستدلال إيماء لتمثيل خلق الأجسام خلقاً ثانياً مع الانتساب بين الأجسام البالية والأجسام المجدّدة منها بنبات الزرع من الحبّة التي هي منتسبة إلى سنبلة زرع أخذت هي منها فتأتي هي بسنبلة مثلها[2].

اللطيفة الثالثة:

تفيد اللام في قوله (لجعلناه) التأكيد، ويكثر اقتران جواب (لو) بهذه اللام إذا كان ماضياً مثبتاً. وممّا يجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن هذه اللام جاءت ههنا في شأن الزرع وجعله حطاماً ولم تجيء في شأن إنزال الماء وجعله أجاجاً في الآيات بعدها إذ قال تعالى: ﴿لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا﴾. وقد اجتهد أهل العلم في بيان سبب ذلك؛ وإنّ أحسن وأجود ما اطّلعت

---

(١) انظر: التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٢٠. والآية بسورة نوح رقم (٧٧).

(٢) التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٢١.

عليه في ذلك كلام لابن الأثير وآخر لمحمد بن سعيد الحجري التونسي، أمّا ابن الأثير فقال: "أدخلت اللام في آية المطعوم دون آية المشروب وإنّما جاءت كذلك لأنّ جعل الماء العذب ملحاً أسهل إمكاناً في العرف والعادة، والموجود من أكثر من الماء العذب، وكثيراً ما إذا جرت المياه العذبة على الأراضي المتغيرة التربة إحالتها إلى الملوحة؛ فلم يحتج في جعل الماء ملحاً إلى زيادة تأكيد، فلذلك لم تدخل عليه لام التأكيد المفيدة زيادة التحقيق، وأما المطعوم فإنّ جعله حطاماً من الأشياء الخارجة عن المعتاد، وإذا وقع فلا يكون إلا عن سخط من الله شديد فلذلك قرن بلام التأكيد زيادة في تحقيق أمره وتقرير إيجاده"(١). وأما كلام محمد بن سعيد الحجري التونسي في حاشيته على شرح الأشموني فهو قوله: "لأن الزرع ونباته وجفافه بعد النضارة حتى يعود حطاماً مما يحتمل أنه من فعل الزارع أو أنّه من سقي الماء، وجفافه من عدم السقي، فأخبر سبحانه أنه الفاعل لذلك على الحقيقة وأنّه قادر على جعله حطاماً في حال نموه لو شاء، وإنزال الماء من السماء ممّا لا يتوهّم أنّ لأحد قدرة عليه غير الله تعالى"(٢).

---

(١) هذا الكلام لابن الأثير في (المثل السائر) في النوع الحادي عشر من المقالة الثانية، في بحث ورود لام التوكيد في الكلام وأنها لا تجيء إلا لضرب من المبالغة، في سر مجيء اللام في قوله تعالى(لجعلناه حطاماً) دون قوله (جعلناه أجاجاً) [انظر: محاسن التأويل للقاسمي ج١٦ص١٧].

(٢) هذا الكلام ذكره محمد بن سعيد الحجري التونسي في حاشيته على شرح الأشموني للألفية المسماة (زواهر الكواكب) عن كتاب (البرهان في إعجاز القرآن). [انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٧ص٣٢٥].

فهذان اجتهادان سائغان لطيفان ينبئان عن دقّة في الفهم والتدبّر. والله أعلم بمراده.

المبحث الثالث: في إنزال الماء وتكوينه.

قال الله تعالى ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾[1].

- ينتقل الاستدلال على إمكان البعث في هذه الآيات الكريمة من نبات الزرع إلى الاستدلال بتكوين الماء الذي به حياة الزرع. ووجه الاستدلال- ههنا- ما يكون من قدرة الله العظيمة التي لا يعجزها شيء في إنشاء وتكوين الماء في السحاب بعد أن كان معدوماً ولا أثر له كما قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾[2]؛ وما دام أنّهم يقّرون ويؤمنون بأنّ الذي ينزل المطر من السماء هو سبحانه وتعالى فكيف ينكرون أنه قادر على إحيائهم وبعثهم من بعد مماتهم. وذلك هو المقصود من قوله تعالى ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ[3] أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾.

---

(١) سورة الواقعة: الآيات من (٦٨) إلى (٧٠).

(٢) سورة النور: الآية (٤٣).

(٣) المزن جمع مُزنة وهو السحاب، وقيل هو السحاب الأبيض لأن الماء النازل منه أشد عذوبة مما سواه. (انظر: تفسير البغوي ج٤ص٢٨٨؛ تفسير ابن كثير ج٤ص٢٩٦؛ تفسير أبي السعود ج٨ص١٩٨؛ فتح القدير للشوكاني ج٥ص١٥٧).

- وأمّا قوله تعالى ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا[1] فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ فموقعه كموقع قوله تعالى في الاستدلال السابق ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ والمعنى: لو نشاء جعلناه غير نافع لكم، فهو استدلال بأنه سبحانه وتعالى قادر أيضاً على نقض ما في الماء من صلاحية نفعه بعد وجوده، وفيه في ذات الوقت امتنان منه سبحانه بقوله ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ تحضيضاً وحثاً لهم على الشكر وترك الشرك[2].

■ لطائف:

اللطيفة الأولى:

في تخصيص وصف الماء بالشرب في قوله ﴿ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾ مع كثرة فوائده ومنافعه، لأنّ الشرب أعظم فوائده وأجلّ منافعه وأهم المقاصد المنوطة به، وليقابل بعده بقوله ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ فتكتمل المِنة فيه بهذه المقابلة[3].

---

(١) أجاجاً: أي شديد الملوحة لا ينتفع به في شرب ولا غرس ولا زرع (انظر: تفسير الطبري ج٢٧ص١١٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري ج٢٧ص١١٦؛ تفسير ابن كثير ج٤ص٢٩٦؛ تفسير القرطبي ج١٧ص٢٢١؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٩ص١٨٣-١٨٤؛ التحوير والتنوير ج٢٧ص٣٢٣-٣٢٤؛ أضواء البيان ج٧ص٧٩٢.

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ج٨ص١٩٨؛ فتح القدير للشوكاني ج٥ص١٥٦؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٢٣.

اللطيفة الثانية:

يلاحظ أنه ورد التنزيل بقوله تعالى ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ عقب قوله في نفس الآية ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ﴾ وورد عقب قوله تعالى ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ قوله تعالى ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ فما وجه مناسبة كلٍّ لآيته؟ قال صاحب ملاك التأويل[1] في ذلك ووجه المناسبة أنّ الآية الأولى لمن تدبّرها تذكرة بالعودة الأخروية قال تعالى ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[2] فأعقب بالتحضيض على التذكر بالبداءة على العودة، وأما الآية الثانية فمستدعية الشكر على عذوبة الماء ولو شاء لجعله أجاجاً، فخلقه وجعله عذباً فوجب شكره تعالى على النعمة بذلك[3].

اللطيفة الثالثة:

وفي ذكر قوله تعالى ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ عند ذكر الماء؛ وعدم ذكره

---

(١) هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (٦٢٧-٧٠٨هـ) من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس. انتهت إليه الرياسة بها في العربية ورواية الحديث والتفسير والأصول، ولد في جيان وأقام بمالقة ثم غادرها إلى غرناطة وتوفي بها. من كتبه: صلة الصلة- ملاك التأويل- البرهان في ترتيب سور القرآن- الإعلام بمن ختم به القطر الأندلسي من الأعلام. (انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر ج١ص٨٤؛ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني ج١ص٣٣؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ج٦ص١٦؛ الأعلام للزركلي ج١ص٨٦).

(٢) سورة الأعراف: الآية (٢٩)

(٣) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: ج٢ص١٠٦٨.

عند الطعام في قوله تعالى ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ أورد الفخر الرازي ثلاثة وجوه لطيفة في سبب ذلك وحكمته (أحدها) أنه لم يذكر في المأكول أكلهم؛ فلمّا لم يقل تأكلون لم يقل فلو لا تشكرون، وقال في الماء تشربون فقال فلولا تشكرون. و(ثانيها) أنّ في المأكول قال (تحرثون) فأثبت لهم سعياً فلم يقل فلولا تشكرون، وقال في الماء ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ أي لا عمل لكم فيه أصلاً فهو محض النعمة فقال: ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾. (وثالثها): أن النعمة لا تتم إلا عند الأكل والشرب، فلما ذكر المأكول أولاً وأتمه بذكر المشروب ثانياً قال ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ أي على هذه النعمة التامة[1]. والله أعلم بمراده.

المبحث الرابع: في خلق النار وإيجادها

قال الله تعالى ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ[2] أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً[3]

---

(١) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٩ص١٨٤.

(٢) شجرة النار: هي جنس الشجر الذي فيه حرّاق أي ما يقتدح منه النار وهو شجر الزِّند أو الزِّناد وأشجار النار كثيرة منها المرْخ والعُفار والعُشَر والكَلْخ. ومن الأمثال: في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعُفار. (انظر: التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٢٦).

(٣) أي جعلناها تذكرة وأنموذجاً من نار جهنم الكبرى يوم القيامة، فيجب على العاقل أن يتخذ منها العبرة والعظة فيخشى من الله تعالى وعذابه. وهذا القول الذي عليه أكثر المفسرين. وقيل المراد أي تبصرة في أمر البعث وصحته فإنه ليس بأعظم دلالة عليه من إخراج النار من الشيء الرطب. (انظر: تفسير الطبري ج٢٧ص١١٦؛ تفسير ابن كثير ج٤ ص٢٩٦؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٩ص١٨٥؛ تفسير أبي السعود ج٨ص١٩٩.

وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ [١] ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ [٢].

هذه الآيات الكريمة هي آخر المواضع في الاستدلال على إمكان البعث وإثبات الإحياء بعد الإماتة، وهي في خلق النار وإيجادها، فيخاطب الله تعالى فيها أولئك المنكرين للبعث- أيضاً- ويوجّه أنظارهم وعقولهم إلى تلك النار التي يقدحونها من شجرها ويستخرجونها من أصلها أهم أنشأوا شجرها أم هو سبحانه؟! وهم-بلاريب- يقرّون ويوقنون أنّه هو سبحانه الذي خلقها وأنشأها، فإذا كان كذلك فكيف لا يؤمنون بأنّ الله قادر على بعثهم!! ووجه الاستدلال في ذلك أن النار تخرج من الشجر بالاقتداح وهو بذلك إخراج، كما أن الزند الذي به إيقاد النار يخرج من أعواد الاقتداح وهي ميتة[٣]. وهذا يشير بكل وضوح وقوة إلى عظيم قدرة الله تعالى بإخراج هذه النار وخلقها وإيجادها من موضعها الذي أودعها في ذلك الشجر، وقد دلّ على هذا الاستدلال قوله

---

(١) أي منفعة للذين ينزلون بالقَواء، وهي الأرض القفر كالمسافرين وأهل البوادي النازلين في الأرض المقفرة. وإنّما خصّوا بالذكر دون غيرهم من الناس مع أنّ الكلّ منتفع بها لعظم انتفاعهم بها وشدة احتياجهم لها. وهذا هو اختيار ابن جرير وأكثر المفسرين وهو الظاهر. (انظر: تفسير الطبري ج٢٧ص١١٦؛ تفسير البغوي ج٤ص٢٨٨؛ فتح القدير للشوكاني ج٥ص١٥٧؛ التحرير التنوير ج٢٧ص٣٢٧؛ أضواء البيان ج٧ص٧٩٦).

(٢) سورة الواقعة: الآيات من (٧١) إلى (٧٤).

(٣) انظر: تفسير الطبري ج٢٧ص١١٦؛ تفسير ابن كثير ج٤ص٢٩٦-٢٩٧؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٩ص١٨٤-١٨٥؛ زاد المسير لابن الجوزي ج٨ص١٤٩-١٥٠؛ تفسير أبي السعود ج٨ص١٩٩؛ فتح القدير للشوكاني ج٥ص١٥٧؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٢٥-١١٦؛ أضواء البيان ج٧ص٧٩٦.

سبحانه في سورة يس في معرض ذكر أدلة البعث أيضاً ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾[1]. هذا ومن شجر النار عند العرب المَرْخ والعُفار إذا أخذ منهما غصنان أخضران فَحُكّ أحدهما بالآخر تباين من بينهما شرر النار[2]. فسبحان من خلقها وأودعها في مواضعها وأخرجها بعد عدمها.

■ لطائف:

اللطيفة الأولى:

في قوله تعالى بشأن النار ﴿ٱلَّتِى تُورُونَ ﴾و ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾إدماج للامتنان منه سبحانه على عباده في خلال الاستدلال على أمكان البعث ووقوعه[3].

اللطيفة الثانية:

قدّم الله تعالى كون النار تذكرة على كونها متاعاً ليعلم أن الفائدة الأخروية أتمّ وبالذكر أهمّ[4].

اللطيفة الثالثة:

يذكر صاحب ملاك التأويل لطيفة حول ترتيب ما سبق ذكره من

---

(١) سورة يس: الآية (٨٠).

(٢) انظر: تفسير ابن اكثير ج٤ص٢٩٦.

(٣) انظر: التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٢٦-٣٢٧.

(٤) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٩ص١٨٥.

النعم التي سيقت للاستدلال في الآيات فيقول فيما خلاصته: إنّ ذكر المتنعِّم بالنِّعم متقدّم في الرتبة على ما ذكر من النِّعم؛ لأن النِّعم إنّما خُلِقَت للمتنعِّم بها ومن أجله، فذِكْرُه أولاً بيِّن اللزوم، فلهذا تقدم ذكر خلق الإنسان، وأما تقديم الأكل على الشرب فمعقول الرتبة، وبحسب ذلك ورد المقول المنقول فقال تعالى ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟... ﴾ الآية[1]؛ والشرب في الغالب للاستمراء ليس أولياً في الغذاء، وإنّما ورد ذكره مع الأكل تالياً لكونه في الرتبة ثانياً، وأما النار فللمنافع من الإنضاج والإسخان والإضاءة فهي متمّمة وليست كالأكل والشرب مدعِّمة[2].

اللطيفة الرابعة:

يلاحظ فيما سبق من الاستدلالات أنّ القرآن الكريم سلك أسلوباً عُني فيه بجانب البرهان والحجّة المرتكز على طريقة الإقناع العقلي لإثبات عقيدة اليوم الآخر؛ وذلك بما يلمسه المنكرون في حياتهم وواقعهم ويمارسونه وإنه لأسلوب يحتذى ومنهج به يقتدى.

مطلب: في مناسبة ختم الآيات الكريمة بالأمر بتسبيح الله تعالى.

لما ذكر الله عزوجل في هذه الآيات الكريمة دلائل عظمة قدرته بما اشتملت على حقائق لإمكان البعث والنشور وبما حوته من جلائل النعم المدمجة في أثناء ذلك ناسب أن يرتب عليها الأمر بتسبيحه فقال سبحانه: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾؛ وذلك تنزيها له- تعالى- عما أضافه إليه

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٣١).

(٢) انظر: ملاك التأويل ج٢ص١٠٦٨.

المشركون من الأنداد والعجز عن البعث، وتعجبا من أمرهم وحالهم في غمط تلك النعم الجليلة الباهرة مع سمو قدرها وظهور أمرها[١].

■ لطيفتان:

اللطيفة الأولى:

إن في زيادة الباء الداخلة على بـ (اسم) في قوله (باسم ربك) تأكيداً للّصوق، أي اتصال الفعل بمفعوله؛ وذلك لوقوع الأمر بالتسبيح عقب ذكر عدة أمور تقتضيه حسبما دلت عليه فاء الترتيب في قوله (فسبح) فكان حقيقا بالتقوية والحث عليه[٢].

اللطيفة الثانية:

وصف الله تعالى ذاته الكريمة بـ(العظيم) عند الأمر بتسبيحه في هذا المقام؛ ذلك لأن من كانت هذه أفعاله فهي دالة ومشيرة على عظمته وكبريائه وتنزيهه عن أن تلحقه شائبة نقص أو يفوته شيء من كمال[٣].

وبهذا المطلب يتم الحديث عن هذا الفصل بتأملاته ولله الحمد المنة.

---

(١) انظر: الكشاف للزمخشي ج٤ص٦١؛ معاني القرآن للزجاج٥ص١١٥؛ البحر المحيط لأبي حيان ج٨ص٢١٢؛ تفسير القرطبي ج١٧ص٢٢٢؛ تفسير ابن كثير ج٤ص٢٩٧؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٩ص١٨٦؛ غرائب القرآن للنيسابوري ج٢٧ص٨٣؛ نظم الدرر للبقاعي ج٧ص٤٢٢؛ فتح القدير للشوكاني ج٥ص١٥٧؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٧ص٣٢٧-٣٢٨.

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٧ص٣٢٨.

(٣) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ج٨ص٢١٢؛ نظم الدرر للبقاعي ج٧ص٤٢٢.

الفصل السّادس

"تأمّلات في المقطع الأخير من السورة"

تقديم:

في هذا الفصل- الذي أختم به هذه التأمّلات- يتمّ الكلام عن المحور الذي دارت عليه آيات هذه السورة الكريمة وهو إثبات العقيدة في اليوم الآخر بكلّ ما فيه من إحياء الخلق ورجوعهم إلى الله تعالى وجزائهم على أعمالهم؛ ذلك قد تضمّن هذا الفصل المقطع الخاتم للسورة والذي قد اشتمل على ثلاثة أمور ذات صلة وثيقة بقضية المحور (أحدها) التنويه بالقرآن الكريم وإثبات أنه وحي منزّل من عند الله عزّوجلّ. (وثانيها) بيان حالة نزع الروح والتحدّي بها (وثالثها) بيان أحوال الأزواج الثلاثة بعد قبض أرواحهم. هذا وسأتناول كل أمر من هذه الأمور في مبحث مستقلٍّ به. والله أسأل التوفيق والسداد.

المبحث الأول. في التنويه بالقرآن الكريم

يبدأ الله- تعالى- هذا المقام العظيم بالقسم بمواقع النجوم[1]، وفيه

---

(١) جمهور المفسرين على أنّ مواقع النجوم هي أفلاكها المضبوطة السير وبروجها ومنازلها في أفق السماء. وهو اختيار ابن جرير الطبري. (انظر: تفسير الطبري ج٢٧ص١١٧؛ تفسير ابن كثير ج٤ص٢٩٨؛ تفسير القرطبي ج١٦ص٢٢٣؛ زاد المسير لابن الجوزي ج٨ص١٥٠-١٥١؛ تفسير أبي السعود ج٨ص١٩٩؛ نظم الدرر للبقاعي ج٧ص٤٢٤؛ تفسير الآلوسي ج٢٧ص١٦١؛ تفسير الخازن ج٧ص٢٤؛ محاسن التأويل للقاسمي ج١٦ص١٩؛ فتح القدير للشوكاني ج٥ص١٥٨؛ تفسير السعدي ج٢٧ص٢٧٥؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٣٢).

تعظيم بشأن المقسم عليه وهو القرآن الكريم إذ قال سبحانه: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ [١] ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾[٢]

والفاء في قوله تعالى ﴿فَلَآ أُقْسِمُ.. ﴾ لتفريع القسم على ما سيق قبله من أدلّة البعث؛ فهو تتمّة لخطاب المنكرين المكذّبين بالبعث وانتقال إلى التنويه بالقرآن الكريم؛ لأنّهم لّما كذّبوا بالبعث وكان إثبات البعث من أهمّ ما جاء به القرآن الكريم؛ بل كان مما أغراهم بتكذيب القرآن اشتماله على إثبات البعث، فلمّا قامت الحجة على خطئهم في تكذيبهم وإنكارهم تبين حينها صدق ما أنبأهم به القرآن الكريم فثبت وتحقّق صدقه، ولذلك تهيّأ المقام للتنويه بشأنه.

- هذا وقد حوى التنويه بالقرآن ذكر أربع أوصاف له دالّة على عظم شأنه وغاية قدسيّته وعلوّ منزلته وتنزيهه عن كلّ النقائص[٣]. وتلكم

---

(١) قرأ الجمهور (بمواقع)، وقرأ حمزة والكسائي وخلف (بموْقع) بإسكان الواو من غير ألف على التوحيد، فمن أفرد فلأنه اسم جنس يؤدي فيه الواحد عن الجمع، ومن جمع فلاختلاف أنواعه وكثرته. (انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج٢ص٣٣٨؛ الكشف عن وجوه القراءات السبع للقيسي ج٢ص٣٠٦؛ الغاية في القراءات العشر للنيسابوري ص٢٧٠؛ تفسير الطبري ج٢٧ص١١٧؛ تفسير البغوي ج٤ص٢٨٩؛ تفسير القرطبي ج١٦ص٢٢٤؛ فتح القدير للشوكاني ج٤ص١٥٨؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٣٢).

(٢) سورة الواقعة: الآيات من (٧٥) إلى ٨٢).

(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٧ص٣٢٩.

الأوصاف (أحدها) "كريم" والكريم هو النفيس الرفيع في نوعه، ففي هذا الوصف تفضيل له على سائر أفراد نوعه من الكتب الإلهية، أي فهو مكّرم عزيز مرفوع القدر عند الله تعالى على جميع الكتب المنزّله[١].

وقد ذكر المفسرون عبارات متنوّعة في أسباب ودواعي وصفه بالكريم وحاصلها أنّه إنّما وصف بذلك لاشتماله على الهدى والبيان وأمّهات الحكم والأحكام ومكارم الأخلاق ومعالي الأمور، وكلّ خير وعلم فإنّما يستفاد ويستنبط منه، ولما ظهرت فيه- أيضاً- من أفانين إنعامه سبحانه فيما دقّ من أمور هذه الدنيا وجلّ من أمور الدارين[٢].

- وثاني الأوصاف قوله تعالى ﴿ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴾أي مصون في اللوح المحفوظ ومستور عن جميع الخلق لا يطلّع أحدٌ عليه سوى الملائكة المقرّبون، ولذلك جاء بعده الوصف الثالث بقوله تعالى: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾ أي الملائكة الموصوفون بالطهارة والنزاهة عن الشرك والذنوب والأحداث. وهذا القول هو الذي عليه جمهور المفسرين من السلف والخلف[٣]. وهو كقوله سبحانه: ﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ﴿١٣﴾ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ

---

(١) انظر: المرجع السابق: ج٢٧ص٣٣٣.

(٢) انظر: تفسير البغوي ج٤ص٢٨٩؛ تفسير القرطبي ج١٦ص٢٢٤؛ زاد المسير لابن الجوزي ج٨ص١٥١؛ نظم الدرر للبقاعي ج٧ص٤٢٥؛ تفسير الخازن ج٧ص٢٥؛ محاسن التأويل للقاسمي ج١٦ص١٩؛ فتح القدير للشوكاني ج٥ص١٥٩؛ تفسير السعدي ج٧ص٢٧٥.

(٣) انظر: تفسير الطبري ج١٧ص١١٩؛ تفسير القرطبي ج١٦ص٢٢٥؛ تفسير الخازن ج٧ص٢٥؛ تفسير أبي السعود ج٨ص٢٠٠، فتح القدير للشوكاني ج٥ص١٥٩؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٣٤؛ تفسير السعدي ج٧ص٢٧٦. وقد ذهب البعض إلى أنه يحتمل أنّ=

﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾[1].

- وخاتمة الأوصاف قوله سبحانه: ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي إنّ بلوغه إلى العباد كان بتنزيل من الله تعالى بواسطة وحيه جبريل عليه السلام إلى الرسول المصطفى محمد ﷺ وفي هذا الوصف ردٌّ على من قال من المكذبين بأنه شعرٌ أو سحر أو كهانة وفي معناه قال الحقّ عزّوجلّ: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2].

- وبعد فلمّا نوّه الله تعالى بالقرآن الكريم في ذكر نعوته الجليلة الموجبة لتعظيمه والإيمان به وبم جاء فيه ناسب أن ينتقل الكلام من التنويه بالقرآن إلى الإنكار على المكذبين به إذ قال سبحانه: ﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾، فالفاء في هذا الاستفهام الإنكاري التوبيخي هي للتفريع على قوله تعالى قبله: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ... ﴾الآيات؛ فالله- تبارك وتعالى- يقول لهم أفبهذا القرآن الكريم الذي بيّنا لكم فخامة شأنه وعظمة مقداره أنتم تلينون القول

=المراد بالكتاب هو المصحف الذي بأيدينا واللام في قوله (لا يمسه إلا المطهرون) للنفي بمعنى النهي وعليه فلا يجوز مسّ المصحف لمن كان ليس بمتطهر من الحدثين الأكبر والأصغر. والمسألة مبسوطة في كتب الفروع والأحكام. (انظر: تفسير القرطبي ج١٧ص٢٢٥-٢٢٦؛ تفسير أبي السعود ج٨ص٢٠٠؛ نظم الدرر للبقاعي ج٧ ص٤٢٥؛ تفسير الخازن ج٧ص٢٥).

(١) سورة عبس: الآيات من (١٣) إلى (١٦).

(٢) سورة الحاقة : الآيات من (٤١) إلى (٤٣).

للمكذبين به ممالأة لهم على التكذيب به والكفر بمنزّله وتجعلون شكر رزقكم إيّاه تكذيبكم به كفراً لنعمته وجحداً لمنّته، فتضعون الكفر والتكذيب بدل الشكر والإيمان !!! [١].

■ لطائف:

- اللطيفة الأولى:

يراد من مجيء اللام بالقسم في قوله تعالى ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ تأكيد القسم وتقويته لا نفيه، وهو أسلوب في القسم تستعمله العرب في كلامها[٢].

- اللطيفة الثانية:

ذُكِرَ في وجه الحكمة بتخصيص القسم بمواقع النجوم- في هذا المقام- أنّه لما في منازلها ومجاريها ومساقطها من الأدلّة على عظيم قدرته سبحانه

---

(١) انظر: تفسير الطبري ج٢٧ص١١٩؛ تفسير الكشاف للزمخشري ج٤ص٦٢-٦٣؛ تفسير الماوردي ج٤ص١٨٠؛ تفسير القرطبي ج١٧ص٢٢٧؛ تفسير البغوي ج٤ص٢٩٠؛ تفسير أبي السعود ج٨ص٢٠١؛ زاد المسير لابن الجوزي ج٨ص١٥٤؛ روح البيان للبرسوي ج٩ص٣٣٨؛ محاسن التأويل للقاسمي ج١٦ص٢٥؛ فتح القدير للشوكاني ج٥ص١٥٩-١٦٠؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٧ص٣٣٧.

(٢) انظر: تفسير البغوي ج٤ص٢٨٩؛ تفسير أبي السعود ج٨ص١٩٩؛ محاسن التأويل للقاسمي ج١٦ص١٩؛ تفسير المراغي ج٢٧ص١٤٩. وقال ابن عاشور في التحرير والتنوير "أصل اللام نافية تدلّ على أنّ القائل لا يُقدم على القسم بما أقسم به خشية سوء العاقبة في الكذب في القسم، وبمعنى أنّه غير محتاج إلى القسم لأن الأمر واضح الثبوت، ثم كثُر هذا الاستعمال فصار مراداً منه تأكيد الخبر فساوى القسم بدليل قوله عقبه (وإنّه لقسم لو تعلمون عظيم) [التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٣٠].

وتعالى وكمال حكمته ممّا لا يحيطة البيان، كما أنّ في غروبها وطلوعها إشارة إلى قدرته عزّوجلّ على الطيّ بعد النشر والإعدام بعد الإيجاد وعكسه. وفيه الدلالة أيضاً على وجود مؤثّر دائم وهو الله تعالى؛ ومن ثمّ استدلّ الخليل إبراهيم- عليه السلام- على الأفول بوجود الإله سبحانه جلّت قدرته[١].

- **اللطيفة الثالثة:**

قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾اعتراض في اعتراض[٢] قصد به المبالغة والتأكيد وتعظيم القسم وتفخيمه في تحقيق مضمون الجملة القسمية[٣].

- **اللطيفة الرابعة:**

ناسب وصفه تعالى ذاته في قوله ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾بوصف ربوبيته للعالمين؛ لما أنّه سبحانه يربّي عباده بنعمه الدينية والدنيوية؛ وأجلّ تربية ربّى بها عباده إنزاله هذا القرآن الذي اشتمل على مصالح الدارين ورحم الله به العباد رحمة عظيمة[٤].

---

(١) انظر: نظم الدرر للبقاعي ج٧ص٤٢٤؛ تفسير أبي السعود ج٨ص١٩٩؛ تفسير المراغي ج٢٧ص١٥٠.

(٢) ذلك أنّ قوله سبحانه (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) معترضة بين المقسم به والمقسم عليه، وقوله (لو تعلمون) جملة معترضة بين جزأي الآية المعترضة فهو اعتراض في اعتراض.

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ج٨ ص١٩٩؛ نظم الدرر ج٧ص٤٢٤؛ فتح القدير للشوكاني ج٥ص١٥٨.

(٤) انظر: تفسير البغوي ج٤ص٤٢٦؛ تفسير السعدي ج٧ص٢٧٦.

- **اللطيفة الخامسة:**

في إنكار الله تعالى على المكذبين بأنهم يداهنون الكفرة ويمالؤنهم على كفرهم بتهاونهم في الأخذ بهذا القرآن الكريم درس وعبرة لكلّ مؤمن بالله تعالى أن لا يتهاون ويلين ولا يداهن ويساوم في أمر دين الله تعالى وتعاليم كتابه وسنة نبيّه ﷺ من أجل إرضاء فئة من الناس تساومه وابتغاء عرض دنيوي زائل، فإنّ الحقّ لا يقبل المؤمن فيه مجاملة ولا مساومة، وحسبنا سيرة النبي ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم المليئة بمواقف الثبات على الدين وعدم التهاون في الأخذ به والرضوخ لرغبات المشركين ولو كانو آباءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم....

المبحث الثاني: في بيان حالة نزع الرّوح والتحدّي بها

قال الله تعالى ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ (١) (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ (٢) وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٣) (٨٦)

---

(١) الحلقوم كالحلق فُعلُوم عند الخليل وفُعلُول عند غيره. والحلق هو مساغ الطعام والشراب في المريء، وأنشد الفارسي: حتى إذا ابتلت حلاقيم الحلُق، وقال الأزهري: مخرج النفس من الحلقوم. (انظر: لسان العرب لابن منظور ج١٠ص٥٨) وانظر: (تفسير الطبري ج٢٧ص١٢١؛ تفسير ابن كثير ج٤ص٣٠٠؛ تفسير أبي السعود ج٨ص٢٠١)

(٢) أي ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم. وهذا المعنى هو ما عليه جمهور السلف. (انظر: تفسير الطبري ج٢٧ص١٢١؛ تفسير ابن كثير ج٤ص٣٠٠).

(٣) غير مدينين أي غير مجزيين ومحاسبين، وهذا المعنى هو الراجح من أقوال المفسرين (انظر: تفسير الطبري ج٢٧ص١٢١، تفسير البغوي ج٤ص٢٩١؛ تفسير ابن كثير ج٤ ص٣٠٠؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٤٥).

تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[1].

- ينتقل الكلام في هذه الآيات الكريمة إلى ذكر أوّل مراحل رجوع الناس إلى الله تعالى وبعثهم إليه، وهي ساعة الموت والاحتضار. وهو مترتّب على ما قبله كما تدلّ عليه " الفاء" في قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا ... ﴾؛ ذلك أنّ الكلام السابق قد كان- كما بيّنت آنفاً- في إقامة الأدلّة على قدرته سبحانه على الإعادة بعد الموت؛ وأعقبه من بعد بأنّ تلك الأدلّة أيّدت ما جاء في القرآن الكريم من إثبات البعث؛ وأنحى على المنكرين له بأنّهم قد وضحت لهم الحجّة ولكنهم مكابورن ومظهرون للجحود؛ وههنا ينتقل بهم في الخطاب إلى أمر لا محيص لهم عن الاعتراف به وبدلالته؛ فإنّ عجزهم عن إرجاع الروح عند مفارقتها للجسد تنبيه لهم واستدلال على مقتضى الحكمة الإلهية في خلق الإنسان؛ فإنّ إيداع الأرواح في الأجساد هو تصرف من تصرفات الله تعالى؛ ونزعها من بعد أن أودعها فيها مدة من الزمان لم يكن إلا لأنّ انتزاعها على مقتضى الحكمة ذاتها في أن يجري الجزاء عليها على ما اكتسبته في حياتها الدنيوية، ولذلك هو محييها وباعثها بعد موتها، فلو كان الأمر كما تزعمون من أنّكم غير مبعوثين ومجزيين ومحاسبين بعد الموت لبقيت تلك الأرواح في أجسادها؛ إذ لافائدة تحصل في انتزاعها بعد إيداعها فيها لولا حكمة بالغة وغرض سام وهو وضع كلّ روح فيما يليق بها في عالم الخلود جزاء على الأعمال. وهذا المعنى كقوله تعالى ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا

(١) سورة الواقعة: الآيات من ٨٣-٨٧.

وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[١].

- وبهذه البينّة المبنيّة على أسلوب التحدّي والتعجيز لهؤلاء المكذبين المستكبرين تسقط كل تعلّة وتنقطع كل حجة ويبطل كلّ محال وينتهي كلّ جدال وليس ثمة بعد إلا العناد والمكابرة.

■ هذا وقد ذهب الإمام البغوي[٢] مذهباً حسناً في دلالة هذه الآيات الكريمة على الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى، ولاريب أنّه يتضمّن الدعوة إلى الإيمان بالبعث والجزاء إذ قال: " إن كان الأمر كما تقولن أنّه لا بعث ولا حساب ولا إله يجازي فهلا تردّون نفس من يعزّ عليكم إذا بلغت الحلقوم، وإذ لم يمكنكم ذلك فاعلموا أنّ الأمر إلى غيركم وهو الله تعالى فآمنوا به .."[٣] فكلامه هذا- رحمه الله- يضاف إلى ما ذكرته آنفاً في دلالة هذه الآيات الكريمة.

■ لطائف:

- **اللطيفة الأولى:** من المعلوم أنّ (لولا) حرف تحضيض، ولكنّه ههنا مستعمل في التعجيز؛ وذلك لأن المحضوض إذا لم يكن قادراً على فعل ما حُضّ عليه فقد أظهر عجزه[٤].

---

(١) سورة المؤمنون: الآية (١١٥).

(٢) هو الحسين بن مسعود بن محمد، الفرّاء، أو ابن الفرّاء، أبو محمد؛ ويلقب بمحي السنّة (٤٣٦-٥١٠هـ) فقيه ومحدث ومفسّر، نسبته إلى (بَغا) من قرى خراسان بين هراة ومرو. من أشهر كتبه: شرح السنة- لباب التأويل في معالم التنزيل. (انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ج١ص١٤٥؛ الأعلام للزركلي ج٢ص٢٥٩).

(٣) تفسير البغوي: ج٤ص٢٩١.

(٤) انظر: تفسير أبي السعود ج٨ص٢٠١؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٧ص٣٤٣.

- **اللطيفة الثانية:**

قوله ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ ظرف متعلّق بما بعده وهو قوله ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾؛ وإنّما قدّم الظرف على فعله المخصوص إليه تهويلاً للفعل وتشويقاً إليه[١].

- **اللطيفة الثالثة:**

إنّ في حذف ما يعود عليه الضمير المستتر في ﴿بَلَغَتَ﴾ نوعاً من الإيجاز؛ لدلالة الكلام عليه ولظهور أنّ التي تبلغ الحلقوم هي الروح[٢].

- **اللطيفة الرابعة:**

كرّرت ﴿فَلَوْلَا﴾ في قوله تعالى ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾للتأكيد اللفظي لنظيرتها السابقة؛ ولتبنى عليها قوله سبحانه ﴿تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ لطول الفصل[٣].

- **اللطيفة الخامسة:**

إن في إيثار لفظ ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ على غير مبعوثين أو معادين إشارة إلى حكمة البعث وعلّته؛ وإن كان لا يلزم من نفي الإدانة نفي البعث فإنّه يجوز أن يكون بعث بلا جزاء ولكنه عبث والله تعالى منزّه عن العبث، كما أنّ في ذلك اللفظ إيماء إلى أنّ الغرض من سوق هذه الآيات إبطال إنكار المنكرين للبعث[٤].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٤٣.

(٢) انظر: المرجع السابق ج٢٧ص٣٤٣-٣٤٤.

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ج٨ص٢٠١، التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٤٤.

(٤) انظر: التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٤٦.

- **اللطيفة السادسة:**

يلاحظ أنّ الله- عزّوجلّ- أجاب عن قوله ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ وعن قوله ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ بجواب واحد وهو قوله ﴿تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ وهو مثل قوله تعالى ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1]. ولذلك قال ابن عطية[2]: "قوله ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ سدّ مسدّ الأجوبة والبيانات التي تقتضيها التحضيضات"[3].

موعظة:

إن من طريقة القرآن الكريم تحيُّن الفرص لإسداء الموعظة وإن كان الحديث في شأن من شؤون الرد على الكفرة والجدال معهم، وهو ههنا يجد الفرصة مواتية ومناسبة لموعظة ترق لها القلوب وتخشع لها الأفئدة وهي موعظة الموت الذي لا محيد عنه ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[4]،

---

(١) سورة البقرة: الآية (٣٨).

(٢) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد (٤٨١-٥٤٢هـ) : مفسر وفقيه، أندلسي من أهل غرناطة، وله شعر، ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين، وتوفي بلورقة. من أشهر كتبه: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. (انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ص٢٩٥؛ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري ج١ص٥٩٣؛ الأعلام للزركلي ج٣ص٢٨٢).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٧ص٣٤٤.

(٤) سورة آل عمران: الآية (١٨٥).

فيعظنا القرآن بتصويره حالة النزع الأخير الذي لايملك أحد رده ولا تأخيره.. فيتوجه المؤمن إلى الاتعاظ بهذا الموقف الرهيب والإعداد لتلك الساعة المحتومة الموقوتة. وتذكرني هذه الآيات بآيات أخرى جاءت في القرآن الكريم في وصف حالة المحتضر في موعظة أخرى وهي قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾[1] وإنها للموعظة الحاضرة الغائبة!!

المبحث الثالث: في بيان أحوال الأزواج الثلاثة بعد قبض أرواحهم

في هذا المبحث الذي أختم به هذا الفصل الأخير يصل الحديث عن هذه السورة الكريمة بتأملاته وفوائده ولطائفه إلى نهايته، وهو امتداد لما سبقه من المباحث في إثبات قضية اليوم الآخر بما فيه من البعث والجزاء، فإنه بعد أن ذكر الله تعالى حالة نزع الأرواح وتحدى بها ذكر بعدها- ههنا- مصير هذه الأرواح حين تستدبر الحياة الفانية وتستقبل الحياة الباقية الخالدة وتمضي إلى آخرتها التي يكذب بها المكذبون، وكان هذا بذكر أحوال الأزواج الثلاثة الذين ذكر الله -تعالى- ما أعد لهم في دار القرار بأول السورة، وبهذا يرد العجز على الصدر ويرتبط البدء بالختام إذ قال سبحانه: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ

(١) سورة القيامة: الآيات من (٢٦) إلى (٣٠).

ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ(١) وَرَيْحَانٌ(٢) وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ(٣) مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾

---

(١) قرأ يعقوب: (فروح) بضم الراء، وقرأ الباقون بفتحها (فروح) [انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج٢ص٣٨٣؛ الغاية في القراءات العشر للنيسابوري ص٢٧٠؛ تفسير البغوي ج٤ص٢٩١]. ويحصل من مجموع القرائتين معنى الحياة الدائمة والرحمة والراحة. (انظر: تفسير الطبري ج٢٧ص١٢٢؛ تفسيرالبغوي ج٤ص٢٩١؛ تفسير ابن كثير ج٤ص٣٠٠؛ تفسير أبي السعود ج٨ص٢٠١؛ فتح القدير للشوكاني ج٥ص١٦٠؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٤٧).

(٢) اختلف في معنى الريحان فقيل المراد به الرزق في الجنة (قاله مجاهد وسعيد بن جبير ومقاتل) قال مقاتل: هو الرزق بلغة حمير، يقال: خرجت أطلب ريحان الله أي رزقه. وقال الحسن وأبو العالية: هو الريحان النبات المعروف الذي يشم يتلقى به عند الموت. وبهذا قال ابن جرير الطبري. (انظر: تفسير الطبري ج٢٧ص١٢٢؛ تفسير البغوي ج٤ص٢٩١؛ فتح القدير للشو كاني ج٥ص١٦٠).

(٣) اختلف المفسرون في قوله تعالى(فسلام لك) فقيل: كاف الخطاب موجّهة لغير معين أي لكل من يسمع هذا الخبر، والمعنى: أنّ السلامة الحاصلة لأصحاب اليمين تسرّ من يبلغه أمرها، وهو كقولك: ناهيك به وحسبك به، إشارة إلى أنّه ممدوح فوق حدّ التفصيل. وقيل: الخطاب للنبي ﷺ لأنه يسرّه ما يناله أهل الإسلام من الكرامة عند الله تعالى. وقيل: الكلام على تقدير القول، أي فيقال لهم أي لصاحب اليمين سلام لك إنك من أصحاب اليمين، وتقوله لهم الملائكة تبشّرهم به كقوله تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألاتخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) سورة فصلت الآية (٣٠)، وعلى كل حال فالمراد من هذا النص الكريم التنويه بشأن أصحاب اليمين ورفعتهم وكرامتهم وعلوّ مرتبتهم وخلاصهم من جميع المكدِّرات. (انظر: تفسير الطبري ج٢٧ص١٢٢؛ تفسير البغوي ج٤ ص ٢٩١؛ تفسير ابن كثير ج٤ ص٣٠١؛ تفسير أبي السعود ج٨ ص ٢٠٢؛ تفسير الآلوسي ج٢٧ ص ١٦١؛ فتح القدير للشوكاني ج٥ص١٦٠؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٤٨).

فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾[1].

■ لطائف:

- **اللطيفة الأولى:**

في أحد الأقوال الواردة المراد بالريحان أنه ذلك الشجر الذي لورقة وقضبانه رائحة زكية، فتخصيصه بالذكر قبل ذكر الجنة التي تحتوي عليه فيه إيماء إلى كرامة المقربين وهو مثل قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾[2].

- **اللطيفة الثانية:**

وفي أحد الأقوال الواردة قوله تعالى ﴿فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ أنّ الكاف خطاب لمن كان من أصحاب اليمين، فهو بذلك على طريقة الالتفات، إذ مقتضى الظاهر أن يقال: فسلام له، وإنّما عدل من الغيبة إلى الخطاب لاستحضار تلك الحالة الشريفة، أي فيسلّم عليه أصحاب اليمين نحو قوله تعالى ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾[3] أي يبادرونه بالسلام، وهو كناية عن كونه من أهل منزلتهم[4].

---

(١) سورة الواقعة: الآيات من (٨٨) إلى (٩٦).

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٧ص٣٤٨؛ والآيتان بسورة الرعد (٢٢-٢٣).

(٣) سورة إبراهيم: الآية (٢٣).

(٤) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٧ص٣٤٩.

- **اللطيفة الثالثة:**

يُلاحظ أن أصحاب الشمال لم يذكروا في هذا المقطع من السورة بهذا الوصف، بل ذكروا بما وصفوا به من قبل في معرض الردّ عليهم على إنكارهم البعث بقوله ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ فقال تعالى ههنا ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ وذلك ذماً لهم وإشعاراً بسبب ما ابتلوا به من العذاب[١]. كما يُلاحظ أيضاً- ههنا- أنه قدّم وصف التكذيب على وصف الضلال على عكس ما تقدّم؛ وذلك لأنّه لما وقع هذا الكلام بعد تحقّق تكذيبهم وردّه على أتمّ وجه ولم يقع الكلام السابق كذلك ذكره (أي التكذيب) أولاً[٢]. والله أعلم.

مطلب: في قوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾[٣]

وبعد ما ذكر الله تعالى من جزاء العباد بأعمالهم على اختلاف فرقهم مقربين وأصحاب يمين ومكذبين ضالين وما سيصيرون إليه أكّد سبحانه وقوع ذلك حقاً فقال ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾أي هو محض اليقين وخالصه الذي لا شكّ فيه ولا مرية بل هو الحقّ الثابت المحقّق الوقوع[٤].

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود ج٨ص٢٠٢.

(٢) انظر: تفسير الآلوسي ج٢٧ص١٦١.

(٣) سورة الواقعة: الآية (٩٥).

(٤) انظر: تفسير الطبري ج٢٧ص١٢٣؛ تفسير الخازن ج٧ص٢٨؛ تفسير فتح القدير للشوكاني ج٥ص١٦١؛ تفسير السعدي ج٧ص٢٨١.

ولا ريب أنّ في هذه الآية الكريمة تعريضاً بالمكذبين المنكرين للبعث والجزاء، إذ إنّه تعالى يؤكّدهما بأبلغ التأكيد وأكمله.

■ لطيفتان:

- **اللطيفة الأولى:**

إضافة "حقّ" إلى "اليقين" هو من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي لهو اليقين الحقّ؛ وذلك لأنّ الشيء إذا كان كاملاً في نوعه وصف بأنّه حق ذلك الجنس، ومآل هذا الوصف هو توكيد اليقين[١].

- **اللطيفة الثانية:**

اشتمل قوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ على أربعة مؤكدات وهي: (إنّ)، ولام الابتداء، وضمير الفصل، وإضافة شبه المترادفين[٢].

مطلب: في وجه الحكمة بختم هذا المقطع والسورة بقوله تعالى ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾[٣].

- يجيء الأمر بالتسبيح في خاتمة هذا المقطع الأخير من السورة بعد أن جاء في خاتمة المقطع قبله، وقد بيّنت مناسبة مجيئه هناك، أمّا تكراره هنا فإنّه لما أكّد الله تعالى أمر الجزاء بقوله ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ وقد

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عشور ج٢٧ص٣٥٠. بل وقد عدّه القرطبي من إضافة الشيء إلى نفسه فقال: "إضافة الحق إلى اليقين وهما واحد؛ لاختلاف لفظهما، كقولك عين اليقين ومحض اليقين من باب إضافة الشيء إلى نفسه" أقول: والأمر في هذا يرجع إلى سعة اللغة العربية ومرادفات كلماتها، وكلا القولين صحيح مقبول. (تفسير القرطبي: ج١٧ص٢٣٤).

(٢) انظر:التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٥٠.

(٣) سورة الواقعة: الآية (٩٦).

استبان الحق وظهر اليقين عند أهل الإيمان وفي مقدّمتهم رسول الله ﷺ، وفي ذات الوقت أصرّ المشركون والمكذبون على تكذيبهم وإنكارهم- ناسب بعدها أن يؤكّد تنزيهه تعالى عما لا يليق به مما يقوله الكفار وينسبونه إليه من إنكار قدرته على البعث والجزاء فأمر بذلك نبيه ﷺ بتسبيحه، والمؤمنون تبع له في ذلك بلا شك، وعلى هذا فتكرار الأمر بالتسبيح هو تأكيد التنزيه ومبالغته[١].

- وكأنّي بالفخر الرازي ينحو بهذا الأمر إلى غرض تثبيت النبي ﷺ وتسليته في هذا المقام وهو منحى حسن إذ يقول: "لما بيّن تعالى الحقّ وامتنع الكفار قال لنبيه ﷺ هذا هو حقّ فإن امتنعوا فلا تتركهم ولا تعرض عنهم وسبح ربّك في نفسك وما عليك من قومك سواء صدّقوك أو كذّبوك"[٢].

- هذا وقد نظر بعض المفسرين إلى مناسبة الأمر بالتسبيح ههنا إلى مجمل ما حوته السورة في كونه جاء في خاتمتها منهم أبو السعود العمادي[٣]. إذ قال: "والفاء في قوله ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ لترتيب

---

(١) انظر: تفسير الثعالبي ج٤ص٢٥٩، محاسن التأويل للقاسمي ج١٦ص٢٩؛ فتح القدير للشوكاني ج٥ص١٦١؛ تفسير المراغي ج٢٧ص١٥٥؛ التحرير والتنوير ج٢٧ص٣٥١؛ تفسير السعدي ج٧ص٢٨١.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج٢٩ص٢٠٤.

(٣) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (٨٩٨-٩٨٢هـ) مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين، ولد بقرب القسطنطينة، ودرس ودرّس في بلاد متعددة ، وتقلّد القضاء في بروسة فالقسطنطينة فالروم إيلي، وأضيف إليه الإفتاء عام ٩٥٢هـ. من أشهر كتبه: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم في التفسير. (انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ج٨ص٣٩٨؛ الأعلام للزركلي ج٧ص٥٩).

التسبيح أو الأمر به على ما قبلها فإنّ حقيقة ما فُصِّل في تضاعيف السورة الكريمة مّما يوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بشأنه الجليل من الأمور التي من جملتها الإشراك به والتكذيب بآياته الناطقة بالحق[١] . وأقول: لا شك أنّ هذه نظرة سائغة في الربط بين أجزاء السورة وما حوته وبين ختمها بالأمر بالتسبيح؛ ولكن لعلّ ما ذكرته أولاً أنسب وأقرب. والله أعلم بمراده.

■ **لطيفة:**

الباء في قوله ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾متعلّقة بمحذوف، والتقدير: فسبح ملتبساً باسم ربك للتبرّك به[٢] .

- وبهذا الأمر بتسبيح الله تعالى المستحقّ له سبحانه تُختم هذه السورة الكريمة وما أعظمه من ختام وأكرمه. وبه يتم الكلام عن هذا الفصل الأخير بتأمّلاته. ولله الحمد والمنة.

****

(١) تفسير أبي السعود ج٨ص٢٠٢.

(٢) فتح القدير للشوكاني: ج٥ص١٦١.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وبمنّته وتوفيقه تكتمل المهمّات، وبعد فإنّ الحياة في رحاب آيات القرآن الكريم هي أطيب الحياة وأكرمها. وما أسعد المؤمن وهو يعيش ويتنقّل بين كلام الله تعالى يتتبّع مواضع التدبّر والتأمّل ويطلبها، ويسعى في إظهار عظمته وسموّه وعلوّه على سائر الكلام، ويلتقط اللطائف والفوائد فيجمعها ويرتّبها في باقة عطرة مباركة!!

هذا وكم كانت سعادتي عظيمة وأنا أحثّ السيْر في ظلال هذه السورة الكريمة فعشت أياماً طيّبة هنيئة ممتعة أدركت خلالها أنّ المؤمن لا يكتمل شعوره بعظمة كتاب الله إلا بالنظر العميق المتأمّل الخاشع.

- وإنّ سورة الواقعة بما حوته من التصوير لمشاهد يوم القيامة وما فيه من الترغيب والترهيب لهو باعث لكل مؤمن على الاستعداد لذلك اليوم وبذل الجهد في ابتغاء رضا الله تعالى والفوز بجنته ونعيمه.
- ثم إنّ هذه السورة الكريمة بما جاء فيها من أسلوب الترغيب والترهيب وأسلوب الإقناع الفكري والعقلي لهي دعوة للدعاة إلى الله عزوجلّ أن يسلكوا منهج القرآن الكريم في الدعوة إلى الله فينوّعوا في أساليبهم بما يحقّق أهداف الدعوة ومقاصدها ووصولها إلى قلوب الناس ومشاعرهم.
- وكذلك فإنّ سورة الواقعة بيّنت أهمية قضية الإيمان باليوم الآخر لما لها من أثر في السلوك البشري، إذ متى كان الإيمان بهذا القضية الجوهرية

قوياً كان السلوك صحيحاً وخيّراً ومتى ما كان ضعيفاً كان السلوك في انحراف وانحدار، ومتى انعدم كان في ضلال وخسار.

- هذا وإني أقترح أن توجّه دراسة السور القرآنية بصورة موضوعية مع إبراز جوانب التأمّل والتدبّر فيها واستخراج اللطائف والفوائد بمختلف تعلّقاتها.. وأرجو أن أكون قد وفّقت في هذه التأمّلات سائلاً المولى سبحانه أن يغفر لي ما كان من خطأ أو تقصير وأن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم فيتقبّله مني ويثيبني عليه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

* * * *

الفهارس

١- فهرس المراجع

- الإتقان في علوم القرآن السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. ٢ج. بيروت- لبنان: المكتبة الثقافية.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود: محمد بن محمد العمادي. ٩ج.بيروت – لبنان: دارإحياء التراث العربي.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة: ابن الأثير الجزري، أبو الحسن علي بن محمد. ٥ ص، دار الفكر.
- أسرار ترتيب القرآن: السيوطي، جلال الدين، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا. الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ، القاهرة: دار الاعتصام.
- الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن علي، بيروت: دار الكتاب العربي، ٤ج.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني. ١٠ج. ١٣٩٣هـ/ ١٩٨٣م.
- الأعلام: الزركلي، خير الدين. الطبعة السادسة. ٨ج. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي. ٥ج. بيروت: مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع.
- البداية والنهاية: أبو الفداء، إسماعيل بن كثير الدمشقي، الطبعة الأولى. ٧ج. بيروت: دار الكتب العلمية. تحقيق: أحمد أبو ملحم- علي نجيب-

فؤاد السيد- مهدي ناصر الدين.
-البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: الشوكاني، محمد بن علي. ٢ج. طبع بمصر ١٣٤٨هـ.
- البرهان في علوم القرآن: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله . ٤ج. الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. تحقيق: محمد علي النجار، ٦ج. بيروت- لبنان: المكتبة العلمية.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: السيوطي، جلال الدين، طبع بمصر ١٣٢٦هـ.
- تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب. ١٤ج. طبع بمصر، ١٣٤٩هـ.
- تبصير الرحمن وتيسير المنان: المهايمي، علي بن أحمد بن إبراهيم، الطبعة الثانية. ٢ج. بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
-تذكرة الحفاظ: الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان. ٤ج. طبع في حيدر آباد ١٣٣٣-١٣٣٤هـ.
- ترتيب القاموس المحيط: الزاوي، الطاهر أحمد. الطبعة الثالثة. ٤ج. بيروت: دار الفكر.
- تفسير البحر المحيط: أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي، الطبعة الثانية.٨ج. بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- تفسير التحرير والتنوير: ابن عاشور، محمد الطاهر. ٣٠ج. تونس: الدار التونسية للنشر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب ١٩٨٤م.

- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي. ٤ج. بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٥هـ.
-تفسير كتاب الله العزيز: الهواري، هود بن محكم. تحقيق: بالحاج بن سعد شريفي. ٤ج. الطبعة الأولى، ١٩٩٠م. بيروت- لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- تفسير المراغي، أحمد مصطفى.٢٠ج. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- تفسير النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود. الطبعة الأولى. ٢ج. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- تهذيب التهذيب: ابن حجر العسقلاني. الطبعة الأولى. ١٤ج. بيروت: دار الفكر.
- تهذيب الصحاح: الزنجاني، محمود بن أحمد. تحقيق: عبد السلام هارون- أحمد عبد الغفور عطار. مصر: دار المعارف.٣ج.
-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تحقيق: محمد زهري النجار. ٧ج. الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٤هـ.
- جامع البيان في تفسير القرآن: الطبري، محمد بن جرير. ٣٠ج. بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. الطبعة الثانية. ٢٠ج. بيروت: دار الكتاب العربي.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن: الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف. ٤ج. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- حاشية الجمل على تفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية): العجيلي الشافعي،

سلمان بن عمر، الشهير بالجمل. ٤ج. بيروت- لبنان: دار إحياء التراث العربي.
-حاشية الصاوي على تفسير الجلالين: الصاوي، أحمد بن محمد. ٤ج. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. ٤ج. طبع في حيدر آباد ١٩٤٥-١٩٥٠م.
-روح البيان: البرسوي، إسماعيل حقي. ١٠ج. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
-روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني: الآلوسي، أبو الفضل، شهاب الدين السيد محمود. ٣٠ج. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد. الطبعة الثالثة. ٩ج. دمشق- بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة: الألباني، محمد ناصر الدين، الطبعة الرابعة. ٢ج. بيروت- دمشق: المكتبة الإسلامي، ١٤٠٣هـ.
- سنن أبي داود: أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي. إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس- عادل السيد. الطبعة الأولى. ٥ج. سوريا- لبنان: دار الحديث، ١٣٨٨هـ.
- سنن ابن ماجة : ابن ماجة، ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ٢ج. بيروت: دار الفكر.
- سنن الترمذي: الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة. تحقيق أحمد محمد شاكر- محمد فؤاد عبد الباقي- إبراهيم عطوه عوض. ٥ج. بيروت:

دار إحياء التراث العربي.
- سنن النسائي: النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على بن بحر بن سنان بن دينار. عناية: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الأولى. ٩ج. بيروت- لبنان: دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٦هـ.
- سير أعلام النبلاء: الذهبي، أبو عبد الله محمد بن بن عثمان. الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الرسالة.
-شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد الحنبلي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- صحيح مسلم بشرح النووي: القشيري، مسلم بن الحجاج- النووي، يحيى بن شرف، تحقيق وإشراف: عبد الله أحمد أبو زينة. ٥ج. القاهرة. كتاب الشعب.
-صفة الصفوة: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. تحقيق: محمود فاخوري- محمد رواس قلعه جي. الطبعة الثالثة. ٤ج بيروت- لبنان. دار المعرفة ١٤٠٥هـ.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: السخاوي. ١٢ج طبع بمصر ١٣٥٣-١٣٥٥هـ.
- طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين السبكي. ٦ج. طبع بمصر ١٣٢٤هـ.
- الغاية في القراءات العشر: النسيابوري، الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران. تحقيق: محمد غياث الجنباز. الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م. الرياض: شركة العبيكان.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان: النيسابوري، نظام الدين بن محمد بن حسين القمي. تحقيق: إبراهيم عطوة عوض. الطبعة الأولى. ٣٠ج. مصر:

شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. ١٣ج. الرياض: مكتبة الرياض الحديثة.
- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: الأنصاري، أبو يحيى زكريا. تحقيق: محمد علي الصابوني. الطبعة الأولى. بيروت: دار القرآن الكريم، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدارية في علم التفسير: الشوكاني، محمد بن علي. تحقيق: عبدالرحمن عميرة- الطبعة الأولى. ٦ج، مصر: دار الوفاء، ١٤١٥هـ.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة.٢ج. طبع في اسطنبول ١٣٦٠هـ.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري، أبو القاسم جارالله محمد بن عمر. ٤ج. بيروت: دار المعرفة.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب. تحقيق: محي الدين رمضان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ. ٢ج. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- لباب التأويل في معاني التنزيل: الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي: ٧ج. بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
- لسان العرب: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. ١٥ج. بيروت: دار الفكر- دار صادر.
- لسان الميزان: ابن حجر العسقلاني. الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ. ٧ج. بيروت، مؤسسة الأعلمي.

- محاسن التأويل: القاسمي، محمد جمال الدين، علق عليه: محمد فؤاد عبدالباقي. الطبعة الثانية ١٧٠ج. بيروت دار الفكر، ١٣٩٨هـ.
- مختار الصحاح: الرازي، محمد أبو بكر بن عبد القادر. بيروت- دمشق: مؤسسة علوم القرآن، ١٣٩٨هـ.
-مرويات الإمام أحمد بن حنبل في التفسير: جمع وتخريج مجموعة من المحققين. ٤ج. الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ. المملكة العربية السعودية: مكتبة المؤيد.
- معاني القرآن وإعرابه: الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري. تحقيق: عبدالجليل عيده شلبي. ٥ج. الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ. بيروت: عالم الكتب.
- معاني القرآن: الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد. ٣ج. الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ. بيروت: عالم الكتب.
- معالم التنزيل: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء. تحقيق: خالد عبد الرحمن العك- مروان سوار. ٤ج. بيروت: دار المعرفة. الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: وضعه محمد فؤاد عبدالباقي. بيروت: دار المعرفة. الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد عمر بن حسين. الطبعة الثالثة. ٣٠ج. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. تحقيق: محمد سيد كيلاني. بيروت: دار المعرفة.
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي. تحقيق: سعيد

الفلاح. ٢ج. الطبعة الأولى، ١٩٨٣م-١٤٠٣هـ. بيروت: دار الغرب.
- موسوعة فضائل سور وآيات القرآن (القسم الصحيح) محمد بن رزق بن طرهوني. ٢ج. الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ. جدة: مكتبة العلم.
- النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، محمد بن محمد الدمشقي. أشرف على تصحيحه ومراجعته: علي محمد الضباع. ٢ج بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر. الطبعة الأولى. ٨ج. بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: المقري، ٤ج طبع بمصر ١٣٠٢هـ.
- النكت والعيون: الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب. تحقيق: خضر محمد خضر راجعه عبدالستار أبو غدة. الطبعة الأولى، الكويت: طباعة مقهوى. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. التراث الإسلامي، ١٤٠٣هـ.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان. ٢ج. طبع بمصر ١٣١٠هـ.

****

٢- فهرس الآيات القرآنية الواردة في البحث

الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
(سورة الفاتحة)		
- بسم الله الرحمن الرحيم	١	٧
(سورة البقرة)		
- فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي..	٣٨	١٠٧
(سورة آل عمران)		
- وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ..	١٣٣	٣٩
- كل نفس ذائقة الموت..	١٨٥	١٠٧
(سورة النساء)		
- ... لهم فيها أزواج مطهرة..	٥٧	٥٤
(سورة الأعراف)		
- كما بدأكم تعودون..	٢٩	٩٠
- ...وكلوا واشربوا...	٣١	٩٤
- وهو الذي يرسل الرياح بشرا...	٥٧	٨٥
(سورة يونس)		
- للذين احسنوا الحسنى وزيادة...	٢٦	٣٤
(سورة الرعد)		
- مثل الجنة التي وعد المتقون...	٣٥	٥٣
(سورة إبراهيم)		
- تحيتهم فيها سلام	٢٣	١١٠

الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
- يوم تبدل الأرض غير الأرض...	٤٨	٢٩
(سورة الحجر)		
- ونزعنا ما في صدورهم من غل...	٤٧	٤٢
(سورة النحل)		
- أتى أمر الله فلا تستعجلوه...	١	٢٣
(سورة الكهف)		
- إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا	١٠٢	٧١
(سورة طه)		
- ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات...	٧٥-٧٦	٢٧
(سورة الحج)		
- وهو الذي أحياكم ثم يميتكم...	٦٦	٨٢
(سورة المؤمنون)		
- أولئك يسارعون في الخيرات...	٦١	٣٣
- أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا..	١١٥	١٠٥
(سورة النور)		
- ألم ترأن الله يزجي سحابا...	٤٣	٨٨
(سورة العنكبوت)		
- ثم الله ينشىء النشأة الآخرة...	٢٠	٦٠
(سورة الروم)		

الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
- وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده...	٢٧	٨٠
- فانظر إلى آثار رحمت الله...	٥٠	٨٥
(سورة لقمان)		
-.. إن الشرك لظلم عظيم...	١٣	٧٥
(سورة فاطر)		
- ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا...	٣٢	٣٣
(سورة يس)		
- إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون	٥٥	٥٤
- سلام قولا من رب رحيم	٥٨	٤٦
- الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا..	٨٠	٩٣
(سورة الصافات)		
- ... ولا هم عنها ينزفون	٤٧	٤٣
- إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم	٦٤	٧٠
- طلعها كأنه رؤوس الشياطين	٦٥	٧٠
- ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم	٦٧	٧٠
(سورة ص)		
- إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد	٣١	٥٨
- فقال إنى أحببت حب الخير	٣٢	٥٩
(سورة فصلت)		
- إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا..	٣٠	١٠٩

الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
- ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة..	٣٩	٨٥
(سورة محمد)		
-.. وأنهار من خمر لذة للشاربين..	١٥	٤٢
(سورة الحجرات)		
-.. إن أكرمكم عند الله أتقاكم..	١٣	٢٧
(سورة الطور)		
- متكئين على سرر مصفوفة...	٢٠	٤٠ (الهامش)
(سورة النجم)		
- وأن إلى ربك المنتهى	٤٢	٢٨
- وأن عليه النشأة الأخرى	٤٧	٦٠
(سورة الرحمن)		
- كل من عليها فان	٢٦	٢٩
- ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام	٢٧	٢٩
- فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان	٣٧	١٩
- متكئين على فرش بطائنها من استبرق..	٥٤	٥٩
- فبأي آلاء ربكما تكذبان...	٥٥	٥٩
- فيهن قاصرات الطرف...	٥٦	٥٩
(سورة الواقعة)		
- إذا وقعت الواقعة.. الآيات	١-٦	١٦-٢١-٢٤-٢٥
- وكنتم أزواجا ثلاثة	٧	١٦-٢١

الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
- والسابقون السابقون.. الآيات	١٠-١٥	٣١-٣٢-٣٥
- على سرر موضونة.. الآيات	١٥-٢٦	٣٨-٣٩-٤٠-٤١
- وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين.. الآيات	٢٧-٤٠	٤٩-٥٠-٥١-٥٢-٥٣-٥٤-٥٥
- وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال.. الآيات	٤١-٥٦	٦٥-٦٦-٦٧-٦٩
- نحن خلقناكم فلولا تصدقون.. الآيات	٥٧-٦٢	١٧-٧٩
- أفرأيتم ما تحرثون.. الآيات	٦٣-٦٧	٨٣
- أفرأيتم الماء الذي تشربون.. الآيات	٦٨-٧٠	٨٨
- أفرأيتم النار التي تورون.. الآيات	٧١-٧٤	٩١
- فلا أقسم بمواقع النجوم.. الآيات	٧٥-٨٢	١٧-٩٨
- فلولا إذا بلغت الحلقوم.. الآيات	٨٣-٨٧	١٧-١٠٣
- فأما إن كان من المقربين.. الآيات	٨٨-٩٦	١٠٨-١٠٩-١١٠-١١١-١١٢-١١٣-١١٤
(سورة الحديد)		
- سابقوا إلى مغفرة من ربكم...	٢١	٣٩
(سورة المنافقون)		
- ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين..	٨	٢٧
(سورة الحاقة)		
- وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون.. الآيات	٤١-٤٣	١٠٠

الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
(سورة المعارج)		
- سأل سائل بعذاب واقع	١	٢٤
(سورة القيامة)		
- كلا إذا بلغت التراقي .. الآيات	٢٦-٣٠	١٠٨
(سورة الإنسان)		
- وذللت قطوفها تذليلا...	١٤	٥٦
(سورة المرسلات)		
- انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب... الآيات	٣٠-٣١	٦٨
- إن المتقين في ظلال وعيون...	٤١	٥٤
(سورة عبس)		
- في صحف مكرمة.. الآيات	١٣-١٦	٩٩
(سورة التكوير)		
-إذا الشمس كورت.. الآيات	١-٦	٢٩
(سورة الانفطار)		
- إذا السماء انفطرت.. الآيات	١-٣	٢٩
(سورة المطففين)		
- وفي ذلك فليتنافس المتنافسون	٢٦	٣٩
(سورة الغاشية)		
- فيها سرر مرفوعة	١٣	٤٠ (الهامش)

٣- فهرس الأحاديث النبوية الواردة في البحث

الحـــــديث	رقم الصفحة
- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر الصديق رضـى الله عنه : يا رسول الله قد شـبت! فقـال ﷺ "شـيبتني هـود والواقعـة.." الحديث.....	١١
- عن جابر بن سمرة رضي الله عنه أنه قـال: وكـان الـنبي ﷺ يقـرأ في الفجر الواقعة ونحوها من السور.....	١٢
- عـن واثلـة بـن الأسـقع رضـي الله عنـه قـال: قـال رسـول الله ﷺ" أعطيت مكان التوراة السبع الطوال..." الحديث.....	١٣
- قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إني لأعلم النظـائر الـتي كـان رسول الله ﷺ يقرن بينهن.....	١٤
- عن ابن مسعود رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: "مـن قـرأ سـورة الواقعة في كل ليلة..." الحديث.	١٥
- عن صهيب رضي الله عنه أن الـنبي ﷺ قـال: "إذا دخـل أهـل الجنـة الجنة..." الحديث.	٣٤
- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسـول الله ﷺ قـال: "إن في الجنـة لشجرة يسير الراكب في ظلها..." الحديث.	٥٣

****

٤- فهرس الأعلام المترجم لهم

اســـم العلم	رقم الصفحة
- الزجاج، إبراهيم السري بن سهل	٢٣
- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن	٢٤
- الغرناطي، أحمد بن إبراهيم	٩٠
- أحمد بن محمد بن حنبل	١٢
- جابر بن سمرة رضي الله عنه	١٢
- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد	٢٤
- البغوي، الحسين بن مسعود	١٠٥
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب	١٠٧
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر محمد سابق	١٩
- أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر الدوسي رضي الله عنه	٥٣
- عبد الله بن عباس رضي الله عنهما	١١
- أبو بكر الصديق، عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر رضي الله عنه	١١
- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه	١٤
- علقمة بن قيس	١٤
- الطبري، محمد بن جرير	٦١
- ابن عاشور، محمد الطاهر	٥٤
- الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسن	٤١

اســـم العلم	رقم الصفحة

- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة..... ١١
- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي..... ١١٣
- الآلوسي، محمود بن عبد الله..... ٧٦
- مسروق بن الأجدع بن مالك..... ١٨
- مسلم بن الحجاج النيسابوري..... ٣٤
- واثلة بن الأسقع رضي الله عنه..... ١٣

****

٥- فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٧
التمهيد: (في الكلام عن السورة وفضلها وموضوعاتها ومقاصدها)...	١١
الفصل الأول: تأمّلات في مطلع السورة.	٢١
المبحث الأول: في الافتتاح بـ (إذا).	٢١
المبحث الثاني: في وجه تسمية يوم القيامة بالواقعة.	٢٢
المبحث الثالث: في وصفه تعالى للواقعة بقوله (خافضة رافضة). ..	٢٥
المبحث الرابع: في اختلال نظام الكون يوم القيامة.....	٢٨
الفصل الثاني: تأمّلات في وصف السابقين ونعيمهم.	٣١
المبحث الأول: في حقيقة السابقين ووصفهم.	٣٣
المبحث الثاني: في وصف نعيم السابقين.	٣٨
الفصل الثالث: تأمّلات في ذكر نعيم أصحاب اليمين ووصفهم. ...	٤٩
المبحث الأول: في ذكر أصناف النعيم لأصحاب اليمين. ...	٥٠
المبحث الثاني: في وصف أصحاب اليمين.	٦٢
الفصل الرابع: تأمّلات في ذكر جزاء أصحاب الشمال وسببه.	٦٥
المبحث الأول: في ذكر جزاء أصحاب الشمال.....	٦٦
المبحث الثاني: في ذكر أسباب استحقاق هذا الجزاء.	٧٣
الفصل الخامس: تأمّلات في دلائل إثبات البعث.	٧٩
المبحث الأول: في خلق الإنسان.	٧٩

الموضوع	رقم الصفحة
المبحث الثاني: في إنبات الزرع.	٨٣
المبحث الثالث: في إنزال الماء وتكوينه.	٨٨
المبحث الرابع: في خلق النار وإيجادها.	٩١
الفصل السادس: تأمّلات في المقطع الأخير من السورة.	٩٧
المبحث الأول: في التنويه بالقرآن الكريم.	٩٧
المبحث الثاني: في بيان حالة نزع الروح والتحدّي بها.	١٠٣
المبحث الثالث: في بيان أحوال الأزواج الثلاثة بعد قبض أرواحهم..	١٠٨
الخاتمة	١١٥
الفهارس.....	١١٧
١- فهرس المراجع	١١٧
٢- فهرس الآيات القرآنية	١٢٥
٣- فهرس الأحاديث النبوية.....	١٣١
٤- فهرس الأعلام المترجم لهم	١٣٣
٥- فهرس الموضوعات	١٣٥

****